Buḥūth Online
مجلة محكمة تصدر إلكترونيا

وحدة النشر العلمي

بحوث

مجلة علمية محكمة

اللغات وآدابها

المجلد 2 العدد الأول - يناير 2022

ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

رئيس التحرير
أ.د/ أميرة أحمد يوسف
أستاذ النحو والصرف-قسم اللغة العربية
عميد كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
جامعة عين شمس

نائب رئيس التحرير
أ.د/ حنان محمد الشاعر
أستاذ تكنولوجيا التعليم-قسم تكنولوجيا التعليم والمعلومات
وكيل كلية البنات للدراسات العليا والبحوث
جامعة عين شمس

مدير التحرير
د. سارة محمد أمين إسماعيل
مدرس تكنولوجيا التعليم
كلية البنات جامعة عين شمس

سكرتارية التحرير:
م/ هبه ممدوح مختار محمد
معيدة بقسم الفلسفة
مسئول الموقع الالكتروني:
م.م/ نجوى عزام أحمد فهمي
مدرس مساعد تكنولوجيا التعليم
مسئول التنسيق:
م/ دعاء فرج غريب عبد الباقي
معيدة تكنولوجيا التعليم

مجلة "بحوث" دورية علمية محكمة، تصدر عن كلية البنات للآداب والعلوم والتربية بجامعة عين شمس حيث تعنى بنشر الإنتاج العلمي المتميز للباحثين.

مجالات النشر: اللغات وآدابها (اللغة العربية – اللغة الإنجليزية – اللغة الفرنسية-اللغة الألمانية-اللغات الشرقية) العلوم الاجتماعية والإنسانية (علم الاجتماع – علم النفس – الفلسفة – التاريخ – الجغرافيا).
العلوم التربوية (أصول التربية – المناهج وطرق التدريس-علم النفس التعليمي – تكنولوجيا التعليم –تربية الطفل)

التواصل عبر الإيميل الرسمي للمجلة:
buhuth.journals@women.asu.edu.eg

يتم استقبال الأبحاث الجديدة عبر الموقع الإلكتروني للمجلة:
https://buhuth.journals.ekb.eg/

- حصول المجلة على 7 درجات (أعلى درجة في تقييم المجلس الأعلى للجامعات قطاع الدراسات التربوية.
- حصول المجلة على 7 درجات (أعلى درجة في تقييم المجلس الأعلى للجامعات قطاع الدراسات الأدبية.

تم فهرسة المجلة وتصنيفها في:
دار المنظومة– شمعة

فضيلة الشجاعة في حماسة البحتري

دينا أحمد سيد رمضان
باحث ماجيستير- قسم اللغة العربية وآدابها
كلية البنات، جامعة عين شمس، مصر
Dina.Ahmedsayed@women.asu.edu.eg

أ.د/ حسن أحمد البنداري
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي
كلية البنات، جامعة عين شمس، مصر
Dr_hassan5@yahoo.com

أ.م.د/ أمينة محمد جمال الدين
أستاذ مساعد الأدب القديم
كلية البنات، جامعة عين شمس، مصر
Amina.gamaleldin@women.asu.edu.eg

د/ فاطمة ميزار باتع
مدرس الأدب القديم
كلية البنات، جامعة عين شمس، مصر
Fatma.mezar@women.asu.edu.eg

المستخلص:

الشعر مرآة العرب وترجُمان عواطفهم، وقد ماج الشعر العربي بالفضائل والأخلاق القويمة، فجاء بمحاسن الأخلاق التي يجب على العربي أن يتحلى بها. وكثيرة هي القصائد التي تشيد بالفضائل الخلقية، وقد عرفَت العرب أصول الفضائل ودعَوا إليها، وأورثوها أبناءهم، فتمثلت المُثل العربية في سجايا جمَّة، من أهمها الشجاعة، فوردت هذه السَّجيَّة في شعرهم. وليس هناك حدث يؤكد معنى الشجاعة إلا وتغنَّوا به؛ فقد تمدَّحوا بالثبات في أرض المعركة، وقوة الفتك، ونجدة الملهوف، وحماية الضعيف، وإغاثة المستنجد بهم، والعفو عند المقدرة. وتهدف الدراسة إلى استجلاء المحاور التي تعبِّر عن فضيلة الشجاعة في الشعر العربي القديم، ودورها في حياة العرب؛ فجاءت الدراسة مَعنيَّة بشعر الشجاعة في مختارات حماسة البحتري، من خلال اهتمام العرب بتجسيد هذه الفضيلة في شعرهم. وإزاء ذلك، اتخذ البحث مسار المنهج الوصفي التحليلي المقترن بالاستقراء، حيث أولَت الباحثة مختارات البحتري بالقراءة المتأنية، وذلك للتعرف على مظاهر الشجاعة، ودراستها ضمن المنهج الوصفي التحليلي، بالنظر إلى المحاور التي تدور حولها، ومعالجتها معالجة تحليلية فنية للتوصل إلى معاني الشجاعة.

الكلمات الدالة: الفضائل، الشجاعة، الحماسة، البحتري.

مقدمة

فطن العرب إلى أَهمِّيَّة الأخلاق، والتَّمثُّل بالفضائل الحميدة، وتشهد على ذلك فنون الأدب المختلفة من شعر، ووصايا، وأمثال؛ ولغنى الشعر العربي القديم، وما يزخر به من فضائل اعتمدها الشعراء عاملًا في التباهي والفخر، آثرت أن يكون موضوع دراستي متناولًا إحدى الفضائل التي وردت في أشعار العرب، وقد استوقفني في هذا التراث الشعري كتاب حماسة البحتري، باعتباره مصدرًا مهمًّا يناشد الفضائل والقيم الأخلاقيَّة، وباعتباره سجلًّا يعكس صورة العصور الأدبيَّة، وفضائل العرب التي دعَوا إليها وتغنَّوا بها وعلى رأسها فضيلة الشجاعة. ولأن البحتري ينزع في حماسته نزعة أخلاقية محضة، اختار للشجاعة معانيَ جزئية متعددة قيلت على مدار العصور الأدبية؛ مما يساعد الباحث المتشوق لمعرفة كل ما قيل في كل معنًى شعري على حدة، وفي ضوء ما تقدم تجلت أهمية الدراسة والباعث عليها. وقد تحددت أهداف الدراسة في استجلاء المحاور التي تعبِّر عن فضيلة الشجاعة في الشعر العربي القديم، وبيان معانيها، وقيمتها من وجهة الشعراء، ودورها في حياة العرب، ومدى تمكنها من نفوسهم، من خلال اهتمامهم بتجسيد هذه الفضيلة في شعرهم. وإزاء ذلك اتخذ البحث مسار المنهج الوصفي التحليلي المقترن بالاستقراء، حيث أولَت الباحثة مختارات البحتري بالقراءة المتأنية، وذلك للتعرف على مظاهر الشجاعة، ودراستها ضمن المنهج الوصفي التحليلي، بالنظر إلى المحاور التي تدور حولها، ومعالجتها معالجة تحليلية فنية للتوصل إلى معاني الشجاعة.

وبعد مطالعتي للدراسات السابقة لم أعثر على دراسة تناولت فضيلة الشجاعة في حماسة البحتري تناولًا أدبيًّا موضوعيًّا وفنيًّا، يهتم ببيان معاني فضيلة الشجاعة ومظاهرها؛ الذي نحن بصدد إظهاره والكشف عنه في هذه الدراسة. ولكن هناك دراسات يمكن الإفادة منها:

- قلي، علي علي محمد، (2008م)، الأساليب البلاغية في الحماسة للبحتري: دراسة بلاغية نقدية، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.

- أبو هملاء، منى محمد عبد الله، (2016م)، النزعة الأخلاقية في حماسة البحتري: دراسة تحليلية، مجلة كلية البنات الإسلاميَّة، مج 15 (ع4)، ص3611-3642.

وتتألف الدراسة من مقدمة: تناولت موضوع البحث وأهميته، والباعث على اختياره، وسبب قصر الدراسة على كتاب حماسة البحتري، وأهداف الدراسة ومنهجها، والدراسات السابقة عليها.

وتمهيد: تناول مفهوم الشجاعة اللغوي والاصطلاحي، ومدى اهتمام العرب بفضيلة الشجاعة، وحرصهم على التمثل بها.

وموضوع الدراسة: جاء في عدة نقاط تمثل الجوانب التي تجسد فضيلة الشجاعة، منها (حديث النفس في المعركة - حمد عاقبة ركوب المكروه - إغاثة الملهوف - الثبات وشدة البأس - التشمير عند الحرب، ورفض النساء والخمر - التباهي بقوة الفتك).

وخاتمة: وفيها عرض لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في إيجاز ووضوح. ثم ثبت المصادر والمراجع: ويشمل المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

تمهيد:

الشجاعة مصدر مادته «ش.ج.ع» وهو أصل يدل على الجرأة والإقدام، جرأة تتطلب شدة القلب عند البأس،[1] والإقدام والفروسية في القتال، وثبات الجأش عند المخاوف. يقول الجرجاني: «الشجاعة: هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجُبن، بها يُقدم على أمور ينبغي أن يُقدم عليها كالقتال».[2] وعليه فإن فضيلة الشجاعة تقع بين رذيلتين هما التهور والجبن، وكذلك كل فضيلة؛ فوفقًا للمبدأ الأرسطي فإن الفضيلة تقوم في مرتبة وسطى بين رذيلتين، وكما يقول الفلاسفة: الفضيلة وسَط بين رذيلتين؛ فالعفة مثلًا وسَط بين انعدام الشهوة والشَّرَه، والحكمة وسَط بين البَلَه والسَّفَه.[3]

والشجاعة إحدى الفضائل التي افتخر العرب بها، فنجد قدامة بن جعفر يتكلم عن أهمية الشجاعة في كتابه، ويَقصُر فضائلَ الناس على العقل، والشجاعة، والعدل، والعفة. فجعل الشجاعة في المرتبة الثانية من الفضائل، ثم بدأ يتحدث عن تركيب الشجاعة مع غيرها من أنواع الفضائل؛ فحينما تتركب الشجاعة مع العقل يكون الوفاء، والصبر على مُلمَّات الدهر ونوازله، وحينما تتركب الشجاعة مع السخاء يكون الإتلاف، والإخلاف، وما أشبهَ ذلك، وعن تركيبها مع العفة يكون إنكار الفواحش والغَيرة على الحُرم.[4] ومن خلال ذلك القول يبين أنه توجد للشجاعة أشكال أخرى، غير القوة وشدة البأس في القتال ونحوه، إلا أنه يرجع ويقرُّ ذلك الجانب في أقسام الشجاعة، فيقول: «ومن أقسام الشجاعة الحماية والدفاع، والأخذ بالثأر، والنكاية في العدو، والمهابة وقتل الأقران، والسير في المهامه الموحشة، وما أشبهَ ذلك».[5]

ويتضح من تاريخ الأدب أن العرب كان همها ذاك الجانب من أقسام الشجاعة؛ ففي العصور القديمة كانت تُضرم النيران لأتفه الأسباب، وكانت شجاعتهم أدعى لهم إلى الحرب حتى «صار لهم البأس خُلقًا، والشجاعة سجيةً، يرجعون إليها متى دعاهم داعٍ أو استنفرهم صارخ».[6] وكانت الشجاعة مُوزَّعة عليهم بين كبير وصغير، نساء ورجال وشيوخ، جميعهم يقومون بعبء الدفاع والقتال، حتى لا تكاد تجد بيتًا يخلو من قتيل أو جريح، أو شخص ذي صلة بيوم من وقائع وأيام العرب، فالعربي القديم كان مفطورًا على القتال، مطبوعًا على الحرب، يدرك أنه إمَّا أن يكون هاجمًا على غيره وإما مهجومًا عليه؛ لذا كان لا بدَّ من الدفاع عن نفسه وعِرضه وقبيلته حتى وإن كان الثمن حياته؛ ولذلك بات عارًا عندهم أن يموت

---

[1] انظر: ابن فارس، أبو حسين أحمد، 1979م، معجم *مقاييس اللغة*، د.ط، القاهرة، مصر، دار الفكر، ت: عبد السلام محمد هارون، 247/3. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، د.ت، *لسان العرب*، د.ط، بيروت، لبنان، دار صادر. 173/8.

[2] الشريف الجرجاني، علي بن محمد السيد، 2004م، معجم *التعريفات*، د.ط، القاهرة، مصر، دار الفضيلة، ت: محمد صديق المنشاوي، ص107.

[3] انظر: الطويل، توفيق، 1979م، *فلسفة الأخلاق: نشأتها وتطورها*، ط4، مصر، دار النهضة العربية، ص88. صليبا، جميل، 1982م، المعجم الفلسفي، د.ط، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني، 149/2.

[4] انظر: قدامة بن جعفر، أبو الفرج، د.ت، *نقد الشعر*، د.ط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، 96-98.

[5] السابق، ص98. ونكَى العدوَّ: أوقعَ العدو وغلبَه وقهَره.

[6] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، 2004م، *مقدمة ابن خلدون*، ط1، دمشق، سوريا، دار يعرب، ت: عبد الله محمد الدرويش، 251/1.

المرء على فِراشه، فنرى في أمثال العرب قولهم: «مات حَتْفَ أَنْفِه»[7] إذا مات في الفراش ولم يُقتل، وقد كان ذلك مدعاةً للعار عندهم؛ إذ نجد السموأل بن عادياء[8] يفخر بعدم وجود موت كهذا في قومه، فيقول:

وَمَا مَـاتَ مِنَّا سَـيِّـدٌ حَتْـفَ أَنْفِـهِ وَلا طَـلَّ مِـنَّا حيــثُ كَانَ قَـتِـيلُ[9]

فكان خير الموت عند العرب الموت تحت ظلال السيوف،[10] وهو في سبيل الدفاع عنهم يبذل جل ما لديه، ولعل هذا ما دفع بعضهم إلى تحمُّل المكروه رغمًا عنه، فهو في سبيل إنقاذ قبيلته، والدفاع عن عِرضه، ونيل شرف الشجاعة؛ كان يجوب المخاطر ويركب الأهوال، وهذا ما وجدناه في أقوال الشعراء؛ إذ سجَّلوا وجسَّدوا ما شاهدوه من أخطار الحروب، وقد كانت القبائل تعتز بالشاعر كاعتزازها بالفارس؛ لِما يقوم به من دور عظيم في الدفاع عن قبيلته بلسانه، فيشيد بانتصاراتها، ويعدد فضائلها، ويبث روح الحماسة في نفوس المقاتلين.

حديث النفس في المعركة:

أول ما تم تسجيله في أرض المعركة هو حديث النفس؛ فظهر لنا حديث النفس الداخلي الذي اعترى المحارب عند أول وهلة من القتال، وجدير بالذكر أن حديث النفس أثناء القتال استحوذ على فكر أغلب الشعراء - إن لم نقل جميعهم - وهذا ليس بغريب؛ فبيان حال النفس في تلك الوهلة الأولى من الحرب هو بيان لهول المعركة، وطبيعي أن ينتاب النفسَ البشرية شيءٌ من الخوف عند وجودها في تلك الأحوال، فصليل السيوف، وقعقعة السلاح، وصهيل الأحصنة، ورؤية الدماء، والقتلى بعضِهم فوق بعض؛ كل هذا يبعث في النفس شيئًا من الرهبة. ولعل هذا ما أراد أن ينقُله لنا شُرَيْح بن قِرْواش العبسي[11] في تصويره الذي قيل عنه في ديوان المعاني إنه «أشجع ما قيل قول الشاعر»[12]:

أَقُـول لِـنَـفْـسٍ لا يُـجـادُ بِـمـثْـلِها أَقِـلِّي الْعِتابَ إِنَّني غَيْرُ مُدْبِرِ[13]
وَهَلْ غَمَراتُ الْمَوتِ إلا نِزالُكِ الْـ ـكَمِيَّ على لَحْمِ الكَمِيِّ المُقَطَّرِ

---

[7] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري، 1955م، *مجمع الأمثال*، د.ط، القاهرة، مصر، مكتبة السنة المحمدية، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، 266/2، رقم 3770. وقد قال خالد بن الوليد عند موته: «لقد لقيت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي موضع شِبر إلا وفيه ضربة، أو طعنة، أو رمية، وها أنا ذا أموت حتف أنفي كما يموت العَير، فلا نامت أعين الجبناء».

[8] السموأل بن عُرَيض بن عادياء بن حباء، من أهل تيماء، صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء، جعله ابن سلام في طبقة شعراء يهود المدينة. انظر: الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، 2008م، *الأغاني*، ط3، بيروت، لبنان، دار صادر، ت: إحسان عباس وآخرين، 84/22. الجمحي، محمد بن سلام بن عبد الله، 2001م، *طبقات الشعراء*، د.ط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص106.

[9] عروة بن الورد والسموأل، 1982م، *ديوانا عروة بن الورد والسموأل*، د.ط، بيروت، لبنان، دار بيروت، ص91.

[10] صفوت، أحمد زكي، 1923م، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ط1، مصر، مطبعة البابي الحلبي، ص48.

[11] شريح بن قرواش بن هُنَيّ العبسي، من شعراء عبس المقلين، كان والده أحد فرسان بني عبس الأشدَّاء، وأحد أبطال حرب داحس والغبراء، انظر: ابن شداد، عنترة، 1983م، *ديوان عنترة بن شداد*، ط2، دمشق، سوريا، منشورات المكتب الإسلامي، ت: محمد سعيد مولوي، ص280.

[12] أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، 1994م، *ديوان المعاني*، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، شرح: أحمد حسن بسج، 112/1-113.

[13] البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد، 2007م، *الحماسة*، د.ط، الإمارات، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي، ت: محمد إبراهيم حور، وأحمد محمد عبيد، ص40. مدبر: اسم فاعل من أدبر، وأدبر إدبارًا: ولّى. غمرات الموت: شدائده ومكارهه. الكمي: الشجاع المقدام. المقطر: المصروع على أحد قطريه، وهما جانباه.

فهو يخاطب نفسه ناصحًا لها بأن تتخلى عن لومه، فهو لن يتخلى عن القتال رغم ما يعانيه من عظيم البلاء وهَول الموقف، وهو في هذا يبين شجاعته وإجبار نفسه على المنازلة؛ كي ينال شرف الشجاعة، فأشد غمرات الموت قتال الشجاع الجريء فوق جِيَف القتلى، المصروع كل منهم على أحد جانبيه، فكيف له أن يصمد ويحارب وهو واقف على كمٍّ لا حصرَ له من اللحم البشري، وأي نفس لن تجزع من هَول ما تراه وتشاهده؟! وعلى الرغم من هذا وقَف يقاتل ببسالة، وهذا يتضح في تشخيصه لنفسه الداخلية في ضوء الاستعارة المكنية، في قوله: «أقول لنفس» وكأنها إنسان آخر يمكن أن يخاطبه، فنقلها من دائرة الأشياء المعنوية، إلى دائرة المحسوسات؛ ليتمكن من إجراء حديث النفس الذي يثبت قوته وإصراره على الصمود، فيأمرها في قوله: «أقلي العتاب»؛ ليلتمس منها أن تتشجع وتترك مخاوفها؛ لأنه سيلازم ساحة القتال ويؤكد لها ذلك باستخدام التأكيد في قوله: «إنني غير مدبر»، ثم يستعطف تلك النفس، ويحنو عليها، ويعزز ثقتها بنفسها، بأن يبرز لها شجاعتها من خلال توظيف الاستفهام في قوله: «وهل غمرات الموت إلا...» وهو خارج عن دلالته الأصلية ليفيد معنى الإثبات، فيثبت لنفسه ويؤكد لها أن شدائد الموت ومكارهه تظهر حينما تقاتل وتواجه الشجاع المقدام؛ وبناء عليه فإن الثبات من مُقوّمات الفارس المغوار. وشبيه بهذا قول معقل بن جوشن الأسدي:

أقُول لِنَفْسٍ لا يُجادُ بِمثْلِها رُوَيْدَكِ إلا تُشْفِقِي حِينَ مَشْفَقِ[14]
رُوَيْدَكِ حَتَّى تَعْلَمِي عَمَّ تَنْجَلِي عَمايَةَ هذا العارِضِ المُتَأَلِّقِ

يتحدث إلى نفسه بأن تتمهل وتصبر، وألا تجزع من هول ما تركبه وتراه، فيكرر «رويدك»؛ لحث النفس على الثبات في مكانها، ويذكرها بالفوز الذي ستناله بعد المعركة، فيهون عليها ويلزمها بالثبات حتى ينكشف ما وراء ذلك الجيش المعادي الذي شبَّهه بالسحب السوداء، وفي ذلك دلالة على ضخامة الجيش وكثرة فرسانه، ويدعم وصفه بذكر «المتألق» إذ إن هذا الجيش يبدو لامعًا من كثرة ما يحمله من سلاح برَّاق ولامع، ولعل معقل بن جوشن كانت نفسه غير راغبة بالموت، وإلا لَما كان يحدثها عن طيب ما تناله بموت كهذا.

في حين أن قُطري بن الفجاءة المازني[15] يرى للموت صورة أخرى، فإن طال الزمان أو قصُر فإن أجل النفس لا يُبدل، يقول:

أقُولُ لَها إذا جَشَأَتْ وَجاشَتْ مِنَ الأَبْطالِ وَيْحَكِ لَنْ تُراعِي[16]

---

[14] السابق، ص41. رويدك: امهلي واصبري. الإشفاق: الذعر. عماية هذا العارض: ما أظل منه، والعارض: أصله في السحاب والمقصود به هنا الجيش، المتألق: البراق اللامع ويقصد به كثرة السلاح. هناك رواية أخرى؛ انظر: أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، 1998م، ديوان الحماسة، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ت: أحمد حسن بسج، ص69:
أقُول لِنَفْسِي حين خَوَّدَ رَأْلُها // مكانَكِ لَمَّا تُشْفِقِي حِينَ مَشْفَقِ
مكانَكِ حَتَّى تَنظُري عَمَّ تَنْجَلِي // عَمايَةُ هذا العارِضِ المُتَأَلِّقِ

[15] قطري بن الفجاءة المازني نسبة إلى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، كان على رأس الخوارج وأحد أبطالهم، وقطري ليس باسم له؛ ولكنه نسبة إلى بلدة قطر. انظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر، 1989م، *شرح أبيات مغني اللبيب*، ط2، دمشق، سوريا، دار الثقافة العربية، ت: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف دقاق، 312/3.

[16] البحتري، *الحماسة*، ص44. جشأت وجاشت: اضطربت وفزعت، وجاشت النفس: حَمِيَتْ من الفزع وارتفعت مثل القدر تجيش فيرتفع ما فيها. ويحك: كلمة توجُّع وترحُّم وإظهار الشفقة. لن تراعي: من الروع وهو الفزع. وقد رويت الأبيات برواية أخرى، انظر: عباس، إحسان، د.ت، *شعر الخوارج*، ط2، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ص108:
أقُولُ لَها وقد طارتْ شَعاعًا // مِنَ الأَبْطالِ وَيْحَكِ لَنْ تُراعِي
فَإِنَّكِ لَوْ سأَلتِ بقاءَ يَوْمٍ // على الأَجَلِ الَّذي لَكِ لَمْ تُطاعِي

فَـإِنَّكِ لَـوْ طَلَـبْتِ حَـياةَ يَـوْمٍ على الأجَلِ الّذي لَكِ لَمْ تُطاعِي

وهو في هذا يحثُّ نفسه على الشجاعة بعدما استشعرت الفزع واضطربت، فيشفق عليها متوجعًا مترحمًا من شدة روعها وخوفها مذكرًا إياها بأن الأجل مُقدَّر حتى وإن طلبت الزيادة في ذلك العمر فلن تناله، فيوظف كلمة «ويح» وهي كلمة رحمة تقال لمن نزلت به بليَّة. وتوظيف قُطري بن الفجاءة للتشابه الصوتي الحاصل في اللفظتين المتجانستين: «جشأت» و«جاشت» كان له فاعلية في بناء المعنى وقرب الدلالة، فضلًا عن فاعليته الإيقاعية؛ ففي اللفظتين صلة توضح ما تعانيه تلك النفس من ضيق أثناء النزال؛ فقد نهضت وتطلَّعت كراهة وجزعًا وخوفًا من الموت. وهذا مما يُستحسن في الجناس، يقول عبد القاهر الجرجاني: «فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مرمًى بعيدًا».[17] وهذا يتجلى أيضًا في قول عمرو بن الإطنابة الخزرجي:[18]

وَقَوْلِي كُلَّما جَشَأَتْ وَجاشَتْ مَـكانَـكِ تُحْمَـدِي أو تَسـتَرِيحِـي[19]
لأدفعَ عَـنْ مَكارِمَ صالِحاتٍ وَأَحْمي بَعْدُ عَنْ عِرْضٍ صَحيحِ

فهو يلزم نفسه - رغم ما يعتريها من فزع - بالثبات والصمود، ويُخيرها إما أن تكون ممدوحة بعد المعركة لثباتها وعدم فرارها، وإما تستريح من الدنيا باختيار الموت، وهذا متوقف على اختيار النفس حينما ترى السبب في الثبات وعدم الاستسلام، هذا السبب متجسد في حماية العرض والدفاع عنه.

وبين قولَي قطري بن الفجاءة، وعمرو بن الإطنابة اختلاف نفسي ظاهر تجلى في نوع الحديث المتبادل مع العقل؛ فنجد قول قطري حديثًا سلبيًّا يظهر فيه التشاؤم من خلال محاولته تذكير نفسه بالموت؛ لذلك حدثها عن الأجل المُقدَّر وأن لها وقتًا محددًا ينقضي أجلها فيه. ولكن عند عمرو نجد حديثًا إيجابيًّا به لمحة تفاؤلية من منظور رؤية دفاعه، فهو دفاع عن الأهل والعرض يستحق الصبر والقتال.

وهذه الأبيات تختلف عن سابقتها - أبيات شريح ومعقل - في أنها لا تصف المعركة كما فعل شريح ومعقل؛ فشريح لا يرى في مخاطبة نفسه سوى قتاله للأعداء، فالشجاع يغامر ويقاتل فوق جيف القتلى إلى أن ينتصر، في حين أن معقل وصف ما في المعركة من جيش عظيم شبهه بالعارض المتألق.

وهذا هو حال مخاطبة النفس، فنجده يختلف من شاعر لآخر، وهذا راجع إلى اختلاف الشخصيات والفكر التصوري لكل منهم، ومن ثم اختلاف التوظيف الأسلوبي؛ فلكل مؤلف فنيات خاصة تميّزه عن غيره من المبدعين، وأسلوب منفرد له دوره في بنية النص، والكشف عن كوامنه التعبيرية، «ولا يتوقف اختلاف الأسلوب على اختلاف الفن، أو اختلاف المنشئ فقط، بل تَدْخل في ذلك عوامل

---

[17] عبد القاهر الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، د.ت، *أسرار البلاغة*، د.ط، القاهرة، مصر، مطبعة المدني، ت: محمود محمد شاكر، ص7.

[18] عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن عامر بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وأمُّه الإطنابة بنت شهاب بن زِبَّانَ، كان أشرف الخزرج وهو شاعر وفارس معروف قديم. انظر: المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، 2005م، *معجم الشعراء*، ط1، بيروت، لبنان، دار صادر، ت: فاروق اسليم، ص25.

[19] البحتري، *الحماسة*، ص39. مكانك: اسم فعل أمر بمعنى اثبتي. تحمدي: تكوني ممدوحة. مكارم: جمع مكرمة، وهي المنقبة والمأثرة. ورويت الأبيات برواية أخري، انظر: المرزباني، *معجم الشعراء*، ص25:
لأدفعَ عَـنْ مآثِرَ صالِحاتٍ // وَأَحْمي بَعْدُ عَنْ عِرْضٍ صَحيحِ

جمعية، فنجد العصر الواحد من العصور الأدبية له طوابع عامة شائعة بين أدبائه، منها تتكوَّن ميزاته الأدبية، أو شخصيته الأسلوبية التي يخالف بها سائر العصور».[20]

والحديث الداخلي الذي أجراه الشعراء أثناء مخاطبتهم لأنفسهم في المعارك يساعدهم على تنظيم مشاعرهم من أجل الثبات، كما يدفعهم للتخطيط الجيد، فهو تخطيط صادر عن حديث النفس مع العقل، وهذه الأفكار الصامتة التي تدور داخلهم ما هي إلا نتاج تفاعل العقل مع الأحداث الجارية التي يمر بها المقاتل فيكون قادرًا على رؤية الأمور بشكل أوضح تُمكِّنه من التخطيط واتخاذ القرار الأنسب في ظل تلك المهالك المحيطة به في أرض القتال. فالخطاب الداخلي - كما يرى د. تشارلز فيرنيهو - وسيلة مرتبطة بشعور الذات؛ لحثها على اتخاذ القرارات، وتنظيم المشاعر، والتخطيط الجيد، واكتشاف كل ما هو جديد، فيتخيل الإنسان نفسه شخصًا يتناقش معه بقدر مناقشته لإنسان حقيقي، ويكون هذا الحديث الخاص بطريقة صامتة، كما أنه يتسم بذاتية التنظيم، فالإنسان هو من يقرر الكلام والرد عليه من طرح أفكار، وتجاوب، واعتراض، واتفاق.[21]

وتستمر أقوال الشعراء ببيان حال النفس عند جزعها في الحروب، ولعل هذا ما دفع بعض النقاد إلى وصم هؤلاء الفرسان بالجبن، ولكنَّ لي في ذلك رأيًا آخر، فأي جُبنٍ هذا والفارس لا يزال واقفًا في المعركة يدافع على الرغم مما يراه؛ وعليه فإن كلمة الجبن أحق بها ذلك الذي يركب حصانه هاربًا. ولعل هذا ما دفع البعض بوصف عمرو بن معدي كرب[22] بالجبن حينما قال:

وَقَفْتُ كَـأَنِّـي لِلرِّماحِ دَرِيَّةٌ أُقاتِلُ عَنْ أَحْسابِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ[23]
وَجاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِها فاسْتَقَرَّتِ

فنفسه اضطربت من الفزع في بداية الأمر، ولكن سرعان ما ردَّها فهدأت واستقرت وثبتت، فاستجمع قوته ووقف منتصبًا في وجوه الأعداء، يحارب ببسالة وقوة عن قوم قد فرُّوا «والبيت من أمضِّ ما هُجي به أحدٌ، لأنه ذكر قتاله عن قوم قد فروا وليس هو منهم، غير أنه يقاتل عنهم عصبيَّة وغضبًا لهم»،[24] فوقف يقاتل والطعن يأتيه من كل الجوانب وكأنه حلقة يُتعلم عليها الصيد.

وبسبب قوله هذا اتهمه البعض بأنه من الشجعان الذين عُرف عنهم الجبن، لكن المرزوقي يرى غير ذلك؛ إذ نراه يقول: «وليس الأمر كما توهَّمَ، لأن ما ذكره عمرو بيان حال النفس، ونفس الجبان

---

[20] عبد المطلب، محمد، 1994م، *البلاغة والأسلوبية*، ط1، القاهرة، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ص114-115.

[21] فيرنيهو، تشارلز، 2017م، *مقالة حديثنا إلى أنفسنا*، مجلة للعِلم - نقلًا عن مجلة ساينتفك أمريكان الإلكترونية: https://www.scientificamerican.com/arabic/articles/from-the-magazine/what-self-talk-reveals-about-the-brain/

[22] عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، يكنى أبا ثَورٍ، من فحول فرسان العرب وشعرائهم في الجاهلية والإسلام، وقال فيه أبو عمرو بن العلاء: لا نفضل على عمرو فارسًا في العرب، وهو مخضرم أسلم في حياة الرسول ﷺ ثم ارتدَّ، ثم عاد إلى الإسلام وشهد الفتوح وحسن بلاؤه فيها. انظر: المرزباني، *معجم الشعراء*، ص33.

[23] البحتري، *الحماسة*، ص39. الدَرِيَّة: حلقة يتعلم عليها الطعن، والمقصود كأني للرماح صيد. أحساب جرم وفرت: يقاتل عن قوم قد هربت. ورويت الأبيات برواية أخرى. انظر: الزبيدي، عمرو بن معدي كرب، 1985م، *شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي*، ط2، دمشق، سوريا، مجمع اللغة العربية، ت: مطاع الطرابيشي، ص71-73:

فَجاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ // فَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِها فاسْتَقَرَّتِ
ظَلِلْتُ كَـأَنِّـي لِلرِّماحِ دَرِيئَةٌ // أُقاتِلُ عَنْ أَبناءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ

[24] البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد، 2009، *كتاب الحماسة*، ط2، بيروت، لبنان، دار صادر، ت: محمد نبيل طريفي، 30/1.

والشجاع على طريقة واحدة فيما يدهمها عند الوهلة الأولى، ثم يختلفان فالجبان يركب نَفْرَتَهُ والشجاع يدفعها فيثْبُتُ».[25] وفي هذا القول بيان يدفع عن عمرو بن معدي كرب وصمه بالجبن؛ ففي البيت الأول تظهر شجاعته بوقفته في وجوه الأعداء، وأسهم الرماح تنهال عليه من جميع الجوانب، وهذا يُثبت أنه على درجة كبيرة من الشجاعة والثبات، فالقتال عن قوم قد هربوا فرارًا، والقتال في وجه الأسهم ما يؤكد بسالته وشجاعته. وهنا تتضح نظرية التلقي التي «تشير على الإجمال إلى تحوُّل عام من الاهتمام بالمؤلف والعمل إلى النص والقارئ».[26] و«تجعل فهم النص موصول النسب بثقافة القارئ، ومستواه العقلي، وملكاته الفنية، ثم بالمستوى الثقافي العام للمجتمع».[27] إذ تتبنى فكرة اختلاف رؤية بنية النص وفقًا للقارئ؛ فاختلاف الناس وطبقاتهم، وثقافاتهم، وقدرتهم على تذوق النص الأدبي فهمًا ونقدًا، ما يدفع المتلقي إلى تكوين رأيه النقدي حول القول الشعري؛ فنجد البعض يتهم عمرو بن معدي كرب بالجبن بسبب قوله، في حين أن المرزوقي ينفي الجبن عنه، وذلك لأنه يتكئ على تذوقه أولًا في فهم النص، كما يناظر بين النص والبيئة الاجتماعية المحيطة به ثانيًا. فاختلف عنهم لاختلاف ملكاته الفنية، وهذا بدوره كشف عن المعنى الأدبي للنص، والحكم الصحيح على قائله.

يقول مالك بن عوف:[28]

وَمُقَدَّمٍ تَجِبُ الْقُلُوبُ لِضِيقِهِ أَقْدَمْتُهُ وَشُهُودُ قَوْمِيَ أَعْلَمُ[29]
وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرِّماحِ مُدَجِّجًا مِثْلَ الدَّرِيَّةِ وَالحُرُوبُ تَضَرَّمُ

ومالك بن عوف يبين لنا مدى صعوبة الموقف الذي قد وضع فيه، فهو موقف صعب لا يتقدم فيه إلا الشجعان؛ فقد وقف - والحرب تضطرم وتشتعل - يحارب ويدافع، وقف وكأنه صيد للرماح. ولكن هذه لا تعد شجاعة منه - مثل ما وجدنا في قول عمرو بن معدي كرب. فإن نظرنا إلى ذلك القول في ذاته من وجهة الفكر البنيوي الذي ينظر إلى أدبية النص بعيدًا عن الجانب الخارجي للمؤلف؛ فلا يرتبط بسياق المبدع النفسي، ولا بالمجتمع الخارجي، بل ينادي بعذل النص الأدبي عن البيانات المرتبطة بالمؤلف.[30] سنجد في قول مالك بن عوف تجليًا للشجاعة في القتال، وهو أمر مُنافٍ للحقيقة، باعتبار النظر إلى الظروف السياقية والخارجية التي قيل فيها النص؛ فقد قال مالك بن عوف تلك الأبيات «وهو يعتذر يومئذٍ من فراره».[31]

---

[25] الزبيدي، *شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي*، ص71.
[26] هولب، روبرت، 2000م، *نظرية التلقي: مقدمة نقدية*، ط1، ترجمة: عز الدين إسماعيل، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ص26.
[27] طليمات، غازي مختار، 1999م، *أدبنا القديم ونظرية التلقي*، الأدب الإسلامي، مج 6، ع 23، ص6.
[28] مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن وائلة بن دهمان بن نصر بن معاوية، فارس شاعر صحابي من أهل الطائف، كان رئيس هوازن يوم حنين، أسلم وحسُن إسلامه، وله أشعار كثيرة جياد مدح فيها النبي ﷺ. انظر: المرزباني، *معجم الشعراء*، ص308.
[29] البحتري، *الحماسة*، ص43. المقدم: أراد موضعًا صعبًا لا يتقدم فيه إلا الشجعان. المدجج: الكامل السلاح. رواية أخرى، انظر: ابن هشام، *السيرة النبوية*، ط3، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ت: عمر عبد السلام تدمري، 4/113-114:
وَمُقَدَّمٍ تعيا الْقُلُوبُ لِضِيقِهِ // قُدّمتهُ وَشُهُودُ قَوْمِيَ أَعْلَمُ
وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرِّماحِ مُدَجِّجًا // مِثْلَ الدَّرِيَّةِ تُسْتَحَلّ وتُشْرَمُ
[30] فضل، صلاح، 2000م، *مناهج النقد المعاصر*، ط1، القاهرة، ميريت للنشر والمعلومات، ص91، 98.
[31] ابن هشام، *السيرة النبوية*، 4/113.

وإن كان مالك بن عوف قد اعتذر عن فراره، فنجد عبد الله بن رواحة الأنصاري يتردد في غزوة مؤتة عقب مقتل جعفر بن أبي طالب، وقد ذكر ابن هشام في سيرته هذا الخبر فيقول: «فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم تقدَّم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد»،[32] ثم قال:

يا نَفْسِ إنْ لَمْ تُـقْتَـلِي تَمُوتِي[33]
إنْ تَـسْلَمِي اليَوْمَ فَلَـنْ تَـفوتِـي
أوْ تُبْـتَلـي فَطـالَ مـا عُـوفِيتِ
هَذِي حِياضُ المَوتِ قَدْ خَلِيتِ
وَما تَمَنَّيْـتِ فَقَدْ أعـــطِـيـتِ

هذا الخوف الذي تردد بداخله جعله يحدث نفسه ويحثها على القتال، فإن لم تتشجع تلك النفس تُقْتَل، وإن سلمت من الموت اليوم فلن تفوت غدًا؛ وعليه فإن القتال أمر واجب سواء أكان عن طيب نفس أم لا، ولكي يتمكن الشاعر من إفراغ رؤياه الداخلية ومشاعره، جعل من نفسه شخصًا آخرَ موظفًا النداء عليه في قوله: «يا نفس» فجرَّد الشاعر من نفسه شخصًا؛ ليبثه مشاعره، موظفًا أداة نداء البعيد، رغم قرب نفسه منه. وإنزال الشاعر المنادى القريب منزلة البعيد هنا كان لغرض تنبيه النفس دالًّا بذلك على شرودها، وغفلتها.

وليؤكد الشاعر لنفسه شجاعته، جعل يقسم بأنه سيقاتل ويحارب طوعًا أو كراهة من أجل ما تمناه وأحبه وهو الفوز بالجنة، فنراه يقول:

أقْسَـمْـتُ يا نَفْسِ لَـتَنْـزِلِنَّهْ[34]
كــارِهَةً أوْ لَتُـــــطاوِعِـنَّهْ
ما لي أراكِ تَكْـرَهِينَ الجَنَّهْ
قَدْ طالَ ما قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ

فتلك إحدى صور الفروسية الإسلامية التي لا تعرف الخوف والرهبة من الموت، والتي تتخذ من الموت وسيلة للوصول إلى غاية كبرى؛ ألا وهي الجنة، وبذلك استطاع الإسلام أن يُنزل في قلب المؤمن السكينة من الموت بدلًا من صورته المفزعة؛ بالتطلع إلى الجنة، والنعيم الدائم. ويتضح الاختلاف الأسلوبي بين قولي الشاعر حينما يذكرها بالموت ويصبرها عليه في أسلوب يجمع بين النصح والإرشاد، وحينما يبث فيها روح الحماس للقتال والمنازلة باستخدام نبرة الإجبار على النزال. والمرجع في اختلاف الأسلوب هو نفس الإنسان، وما يطرأ عليه من دوافع يُنشئ فيها العمل الإبداعي؛ فهو تارة يعتمد على عقله، وأخرى يعتمد على عاطفته، ومرة ثالثة يجمع بين العقل والعاطفة، وبِتَشَكُّل نفس المنشئ تصدر فنون أدبية، ولكلٍّ أسلوبه الخاص وغايته الممتازة.[35]

---

[32] السابق، 18/4.
[33] البحتري، *الحماسة*، ص40. إن تسلمي؛ أي: من الموت. هناك رواية أخرى، انظر: ابن رواحة، عبد الله، 1981م، *ديوان عبد الله بن رواحة*، ط1، الرياض، السعودية، دار العلوم للطباعة، ت: وليد قصاب، ص154.
[34] البحتري، *الحماسة*، ص41. رواية أخري، انظر: ابن رواحة، *ديوان عبد الله بن رواحة*، ص153.
[35] انظر: الشايب، أحمد، د.ت، *الأسلوب*، ط2، مصر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ص97-98.

وليس من شكٍّ في أن المونولوج الداخلي يساعد في تقديم المحتوى النفسي للشخصية، والفرق واضح بين مخاطبة النفس لدى شاعر الجاهلية وشاعر الإسلام من خلال تلك المقتطفات؛ فالشاعر الجاهلي نجده متأثرًا بالبيئة والعادات والتقاليد والمفاهيم الشائعة في عصره، فجاءت ألفاظه بعيدةً عن المعتقد الديني، مركزة حول النزعة العربية المتمثلة في الحمية، وملازمة ساحة القتال، والدفاع عن العِرض، والانتصار للقبيلة، مستخدمين في ذلك وصفهم لأرض المعركة وحالهم أثناء الثبات. في حين أن الشاعر الإسلامي وظَّف الألفاظ التي تدل على المعاني الإسلامية وتأثر بها، ففي أقوالهم بيان لحال النفس أثناء القتال وكرهها للقتال وفي ذلك تأثر بقول الله عز وجل: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾.[36] وأيضًا نجد عبد الله بن رواحة تأثر بالألفاظ الإسلامية الجديدة ووظَّف كلمة الجنة في شعره متأثرًا بقوله عز وجل: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.[37]

وإن كان البعض يهابون الحرب وأحداثها، فهناك من يعانق الموت دون تردُّد، دون وجود خوف داخل النفس، يقول العباس بن مرداس السلمي[38]:

الْقائِلُونَ إذا لَقُوا أقْرانَهُمْ إنَّ المَنايا قَصْدُ مَنْ لَمْ يُقْتَلِ[39]
فَيُعانِقُوا الأبطالَ في حَمْسِ الْوَغَى تَحْتَ الأسِنَّةِ والْقَتَامِ الأطْحَلِ

فهؤلاء ليسوا ممن ينتابهم الجزع في المعارك، وليسوا ممن تجيش أنفسهم في خوض معامع الأخطار، ولا تروعهم الأهوال، ولكنهم إذا لقوا أعداءهم قالوا إن الموت هو نهاية من لم يحارب ويقاتل، فيكون هذا حافزًا لهم على عناق الأبطال المعادين في ظل شدة القتال وهلكة الحرب، فهم لا يعرفون الخوف، وليس للرعب لديهم سبيل. وفي جملة «فيعانقوا الأبطال» جمع غير مستحسن؛ فلفظ العناق به دلالة على الاشتياق، والشاعر لم يحالفه الصواب في اختيار اللفظة التالية لها وهي «الأبطال»؛ لأن الاشتياق هنا هو اشتياق لمعانقة الموت دفاعًا عن كرامتهم وعزتهم وليس معانقة لأعدائهم، وهذا ما تشير إليه لفظة «فيعانقوا» فهي تدل على مدى شجاعتهم وقوتهم، وسرعتهم في ذلك فهم يحتضنون الموت دون خشية أو رهبة، فيهاجم الشجاع بشدة ويصرع الأنداد، ولا يرهب الأبطال، ولا يرهب الثغور، ولا يخاف الموت بل يستقبله بصدر رحب، ويضحي بنفسه في سبيل الدفاع عن كرامته وعرضه وقبيلته.

حمد عاقبة ركوب المكروه:

يتحمل الفارس الصعاب، ويركب المكروه؛ لما فيه من عواقب محمودة، يقول الجمَّال العبدي:

إذَا خِفْتَ فِي أَمْرٍ عَلَيْكَ صُعُوبَةً فَأَصْعِبْ بِهِ حَتَّى تَذِلَّ مَرَاكِبُهْ[40]

---

[36] سورة البقرة، الآية 216.
[37] سورة الفجر، الآية 27: 30.
[38] العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بُهثَة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، شاعر مخضرم من فرسان الجاهلية والإسلام من شعراء قبيلة سليم وأشرافهم، كنيته أبو الهيثم وأبو الفضل، أمه الخنساء الشاعرة، وفد على النبي ﷺ ومدحه وأسلم. انظر: السلمي، العباس بن مرداس بن أبي عامر، 1991م، *ديوان العباس بن مرداس*، ط1، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ت: يحيى الجبوري، ص7 وما بعدها.
[39] البحتري، *الحماسة*، ص45. الأقران: جمع قِرْن، وهو من يقاومك في الحرب، حمس الوغى: شدة الحرب، القتام: الغبار الأسود، الأطحل: ما لونه الطحلة، لون ما بين الغبرة والبياض كلون الرماد.
[40] السابق، ص109. تذل مراكبه؛ أي: تصبح مذللة طرقه.

وَأَمْرٍ عَلَى مَكْرُوهِهِ قَدْ رَكِبْتُهُ فَكَانَ بِحَـمْدِ اللهِ خَيْرًا عَوَاقِبُهْ

فسبيل الشجاع عند ركوب الأهوال الصعبة أن يذلل طرقها ولا يخافها، فيركب الكره ويقتحم المعارك، ويقاتل ويهاجم الأعداء، والشاعر يحث الفارس على ذلك ويدعوه إليه؛ لأن عاقبة تلك الشجاعة محمودة؛ فكثرة تردده على المعارك وتحمُّله المكروه في الحرب يقوي من شخصيته، وتزيده تلك التجارب خبرةً وحُنكةً ودرايةً بأمور الحرب، يستطيع بها أن يحل ويخرج من الأزمات، فيصبح قادرًا على قيادة الجيوش، متمكنًا من السيطرة على الحروب، يقول الأَخْزَرُ بن جُزَيٍّ:

وَأَرْكَبُ الْكُرْهَ أَحْيانًـا وَأَحْمَدُهُ وَرُبَّمَا نَالَ فِي الْكُرْهِ الْفَتَى الرُّغُبَا[41]
لا تَجْزَعَنَّ لِكُرْهٍ أَنْـتَ رَاكِبُهُ وَاجْسُرْ عَلَيْهِ وَلَا تُظْهِرْ لَهُ رُعُبَا

فيحرضه على الانضمام لصفوف القتال، وملازمة أرض المعركة، ومنازلة الخصوم من خلال عرض تجربته في صدر البيت الأول بقوله: «وأركب الكره ... وأحمده» هو بذلك يدعوه للقتال، ويشجعه على تحمل ما سيواجهه، ثم يقدم النصيحة بتوظيفه لأسلوب النهي في البيت الثاني بقوله: «لا تجزعن»؛ لينصح المتلقي بالصبر على نوائب الحروب ومواجهتها بشجاعة وقوة، ثم يمزج النهي بالأمر بقوله: «واجسر عليه»؛ لاستنهاض همة المتلقي، وتشجيعها لمقارعة الخطوب، وهي أقوال تبين ثقافة الالتزام بمعايير الشجاعة والقوة عند العرب، فيصبّره على تحمُّل المكروه، ويذكره بالثمار التي سيجنيها بعد الانتصار من كرامة، وعزة، وسيرة طيبة تعبق بشذاها ريح الصَّبا. كما أن هذه الأقوال تبين فروسية الشاعر؛ فهذه النصيحة لا تصدر إلا من شخص مجرب عارف بأمور الحروب وأهوالها، فضلًا عن قدرته في صياغة تلك الخبرة في نظمٍ شعري تعاضد فيه الأمر والنهي، لتكون النصيحة بذلك أكثر تأكيدًا وعمقًا في نفس المتلقي.

إغاثة الملهوف:

وللشجاعة صور كثيرة عند العرب منها: إغاثة الملهوف، وسرعة إجابة الداعي. وحدُّ الشجاعة عند ابن حزم في «بذل النفس للموت عن الدين والحريم، وعن الجار المضطهد، وعن المستجير المظلوم، وعن الهضيمة ظلمًا في المال والعرض، وفي سائر سُبل الحق».[42] والفارس العربي حامي الضعيف، وراعي الجار، ومدافع عن اللاجئ، يجيب الداعي على عجل دون توانٍ أو تردُّد، يقول زيد الخيل الطائي:[43]

وَلَـمَّـا دَعَـانِـي الْخَـيْـبَـرِيُّ أَجَـــبْـتُهُ بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِـيلِ[44]
وَمَا كُنْتُ مَا اشْتَدَّتْ عَلَى السَّيْفِ قَبْضَتِي لأَسْلِمَ مِـنْ حُـبِّ الْحَيَـاةِ أَكِـيـلِي

وكان زيد الخيل مظفرًا شجاعًا فارسًا مغوارًا، عُرف عنه القوة وشدة البأس، وهو في هذه الأبيات يبين موقفه تجاه الضعيف الذي يستغيث بنجدته، فلما دعاه الخيبري أجاب دعوته، وانطلق حاملًا سيفه

[41] البحتري، *الحماسة*، ص109. واجسر عليه؛ أي: كن جسورًا شجاعًا في ملاحقة الأعداء.
[42] ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، 1438هـ، *الأخلاق والسِّير في مداواة النفوس*، ط2، السعودية، دار ابن الجوزي، ت: طارق بن عبد الواحد، ص42-43.
[43] زيد بن مهلهل بن يزيد بن مُنْهِب، من طيئ، لقب زيد الخيل؛ لكثرة خيله، كان شاعرًا، وخطيبًا معدودًا في الشعراء الفرسان، أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ في وفد طيئ فأسلم. انظر: الأصفهاني، *الأغاني*، 177/17. وأيضًا: الزركلي، خير الدين، 2002م، *الأعلام قاموس تراجم*، ط15، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 61/3.
[44] البحتري، *الحماسة*، ص119. أبيض؛ أي: سيف أبيض. صقيل: المصقول من الصقل وهو الجلاء. الأكيل: الذي يؤاكلك.

الأبيض الناصع الواضح وضوح النهار المصقول؛ ليدافع بكل قوة، وبضربة محكمة عمن دعاه وفي هذا دلالة على شجاعته، كما أنه يثبت بهذا الفعل أنه أهل للاعتماد عليه إذا دهمت الخطوب، وإذا دعاه داعٍ فإنه على أُهبة الاستعداد للقتال والدفاع، فاشتدت قبضته على السيف حينما هدد الموت بأخذ روح رفيقه؛ مما جعل منه مقاتلًا شجاعًا يدافع ويُغيث الملهوف. وقد انتصر أسامة بن سفيان البَجَليُّ أيضًا في قوله:

وَدَاعٍ وَالْـقَنَا شُـــرُعٌ إِلَيهِ ... مَخَافَةَ أَنْ يُغادَرَ فِي الْمَجَالِ[45]
أَجَبْتُ دُعَاءَهُ لمَّا دَعَانِي ... وَكَانَ بِصَدْرِ صَعْدَتِيَ اتِّصَالِي
كَشَفْتُ الْخَيْلَ لَمَّا أَرْهَقَتْهُ ... وَهُنَّ جَوَانِحٌ مِثْلَ السَّعالِي

فقد دعاه داعٍ في موقف صعب إذ تأتيه الرماح من كل جانب، تنثال عليه انثيالًا دون توقف، فضلًا عن الخيل المحيطة به والتي أنهكته، وقد شبَّهها بسحرة الجن المتمايلة؛ للدلالة على خبثها وفسادها، فلما استنجد ذلك الداعي الضعيف به أجاب دعوته، وظل يدافع عنه برماح قوية ثابتة، متقدمًا نحو الأعداء، يهجم بشدة فهو صادق الضرب قوي الطعن، فأشهر سلاحه ونال به العدو؛ نصرة لذلك الضعيف الواهن.

ويتضح في تلك الأبيات جانب من البيئة الفكرية والمعتقدات الشائعة عند العرب؛ إذ كانوا يعتقدون بالشياطين وسحرة الجن، وهذا ما ضمنه الشاعر في تشبيهه، فسجل البيئة الوهمية في تشبيه الخيل بسحرة الجن في قوله: «الخيل ... مثل السعالي» وهو تشبيه وهمي؛ شبه فيه المحسوس المدرك بالحواس، بمشبه به معقول لا يدرك بالحواس، وقد لجأ الشاعر لمثل هذا التشبيه؛ ليوضح ما في هذه الخيول من قوة وشر بإكسابها الخبث والفساد الذي يتمتع به سحرة الجن - فقد استقر عند العرب ما يملكه هؤلاء من قدرات خارقة - وهذا بدوره أبرز ما في نفس المستنجد من رعب وخوف، وهو في الوقت نفسه يوحي بقوة الشاعر وشجاعته، فلم يأبه لهذا الرعب، وانطلق مدافعًا لهذا الضعيف الذي يستغيث به.

وهكذا نجد شجاعة العرب على أنها فضيلة أخلاقية تجلت في الدفاع عمن يلوذ ويستنجد بهم. يقول أبو زبيد الطائي[46] في قصيدة مطولة له يرثي فيها ابن أخته اللجلاج بن أوس بن عتبة ابن أخت أبي زبيد حسناء، وكان من أحب الناس إليه:

رُبَّ مُسْتَلْحَمٍ عَلَيْهِ ظِلَالُ الـ ... ـمَوْتِ لَهفَانَ جَاهِدٍ مَجْهُودِ[47]
خَارِجٍ نَاجِذَاهُ قَدْ بَرَدَ الْمَوْ ... تُ عَلَى مُصْطَلاهُ أَيَّ بُرُودِ
غَابَ عَنْهُ الأَذَى وَقَدْ وَرَدَتْ سُمْـ ... ـرُ الْعَوَالِي إِلَيْهِ أَيَّ وُرُودِ
ثُمَّ أَنْقَذْتُهُ وَفَرَّجْتُ عَنْهُ ... بِغَمُوسٍ أَوْ ضَرْبَةٍ أَخْدُودِ
بِحُسَامٍ أَوْ زَرَّةٍ مِنْ نَحِيضٍ ... ذَاتِ رَيْثٍ عَلَى الشُّجَاعِ النَّجِيدِ

[45] السابق، ص120. القنا: جمع قناة وهي الرمح. شرع إليه: مسددة نحوه. المجال: مكان المجاولة في المعركة. الصعدة: القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج إلى التثقيف. كشفت الخيل: أبعدتها عنه. السعالي: جمع سِعْلاة وهم سحرة الجن.

[46] حرملة بن المنذر بن معدي كرب الطائي، من الشعراء المخضرمين، كان نصرانيًّا. انظر: الأصفهاني، *الأغاني*، 86/12.

[47] البحتري، *الحماسة*، ص119. مستلحم: قُطِع بالسيوف وجُعل لحمًا، ظلال الموت: أشرف عليه الموت، لهفان: يتلهف، جاهد: لا يدع جهدًا. ناجذاه: مثنى ناجذ وهو أقصى الأسنان، برد: ثبت، مصطلاه: يداه ورجلاه ووجهه، سمر العوالي: الرماح. ورود وردت إليه؛ أي غشيته، بغموس: طعنة غامضة، أخدود: لها خد في الجلد أي شق. زرة: طعنة. نحيض: منحوض رقيق يعني السنان، ريث: بطء. النجيد: النجد.

في تلك الأبيات التي يرثي فيها الشاعر ابن أخته يبين لنا كم كان اللجلاج على قدر كبير من الشجاعة، فقد دافع عن ضعيف في إحدى الملاحم، فبدأ بوصف ذلك الداعي المستنجد باللجلاج بأنه كان في ملحمة القتال مقطعًا بالسيوف، يتلهف خوفًا من اقتراب الموت منه، وقد بلغ من الإجهاد الحد الذي جعل من أقصى أسنانه بارزة ظاهرة، والموت قد نال من أطرافه - يديه ورجليه ووجهه - وهو في ذلك الوصف يبين مدى الضعف الذي وصل له ذلك الداعي بعدما جاءته أعالي الرماح من كل مكان، وبعدما تخلى عنه أقاربه فلم ينصروه بل آثروا الفرار والتخلي عنه، وبناء على دعوته أجابه اللجلاج وهو يهرع إلى منازلة عدو ذلك المستلحم فقام بطعنه بضربة قوية ترتب على إثرها إنقاذ ذلك المستلحم والتفريج عنه، ثم راح الشاعر يعدد الأسلحة والضربات المحكمة التي وجهها اللجلاج إلى ذلك العدو فنجد الشاعر يذكر «بغموس - ضربة أخدود - بحسام - زرة من نحيض» هذه الطعنات والضربات القوية تبين أن اللجلاج شاب شجاع ممتلئ قوة وعزيمة، يتأجج قوة وحماسة، كما تبين تمكنه وقدرته على القتال والهجوم بشدة نحو الأعداء؛ ففضلًا عن نجدته لذلك المستضعف فهو على دراية كبيرة بأمور وفنيات القتال والدفاع، فيهاجم ويصرع الأعداء في سبيل إغاثة الملهوف. يقول الجمَّال بن سلمة العبدي:

وَمُسْتَلْحَمٍ بَادِي النَّوَاجِذِ قَدْ رَأى حِيَاضَ الْمَنَايَا وَالرِّمَاحُ شَوَارِعُ[48]
عَطَفْتُ عَلَيْهِ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا خِلَالَ الْقَنَا قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ

وهنا نجد العبدي يسرع إلى إجابة الملهوف ويفزع إلى المستصرخ الذي قطع بالسيوف والرماح إلى أن جُعل لحمًا، فهذا المستلحم قد ظهرت نواجذه من شدة عبوس وجهه وشدة انقباضه، فقد كلح من رؤية اقتراب الموت منه بسبب كثرة الرماح التي ذكرها الشاعر بأنها «شوارع» تعبيرًا عن سرعتها وقربها منه، فما كان من الفارس الشجاع سوى العطف على ذلك الضعيف والتفريج عنه، وشجاعته هنا ظهرت من خلال وصفه لقوة الرماح المحيطة بهم، في قوله: «الرماح كأنها ... قرن من الشمس طالع» فشبه انطلاق الرماح من قناتها وكأنها قرن طالع من الشمس الحامية، ومعروف عن أشعة الشمس أنها تنتشر في كل مكان بشكل عشوائي، فتلك الصورة التي عمد الشاعر أن يقرنها بوصف الرماح تبين كم كانت تلك الرماح تنثال عليهم انثيالًا شديدًا، وكأن الشمس أمطرت عليهم وابلًا من النار.

وقول الجمَّال بن سلمة انصرف عن وصف شجاعته إلى وصف ساحة القتال، ووصف المستنجد وما يلاقيه من أهوال في الحرب بقوله: «مستلحم - بادي النواجذ - رأى حياض المنايا». واكتفى بتعبير متواضع لطريقة إغاثته بقوله: «عطفت عليه» تعبيرًا لنجدته له، وهي لفظة تبرز الإنقاذ دون الشجاعة، تظهر كم أنه رحيم لا يقبل بترك الضعيف، وما يؤكد من هذا الافتراض أنه لم يذكر وسيلة نجدته.

بينما نجد أبا زبيد الطائي لم يُغفل في صورته أي جانب في عملية النجدة هذه، فكانت صورته كاملة من خلال وصفه لذلك الضعيف المستنجد به والذي وصفه وصفًا دقيقًا وعبر عن حالة الإجهاد التي وصل إليها بقوله: «مستلحم - عليه ظلال الموت - لهفان - جاهد - مجهود - خارج ناجذاه - برد الموت على مصطلاه - غاب عنه الأذى»، كما وصف انثيال الرماح عليه، والأهوال التي جعلته بهذه الهيئة الضعيفة، وبعد ذلك عرض لشجاعته وقوته في طريقة إنقاذه بقوله: «أنقذته - وفرجت عنه»، ذاكرًا الوسائل في ذلك بقوله: «بغموس - ضربة أخدود بحسام - زرة من نحيض - ذات ريث على الشجاع».

[48] السابق، ص119. حياض: جمع حوض وهو مجتمع الشيء، شوارع: مشرعة قريبة، عطفت: ملت وانحنيت، القنا: الرماح والواحدة قناة.

ولا شك أن تعاضد هذا الوصف التفصيلي مع التجربة الشعرية التي ينقُلها لنا الشاعر، من شأنه أن يحقق للقصيدة غايتها، فقَبول العقل للمعاني والاستمتاع بالقراءة يحقق عيار شرف المعنى عند العرب حينما تحدثوا عن المعنى الشعري في عمود الشعر، وهذا ما يتطلبه أيضًا عمق التجربة عند النقاد المحدثين؛ إذ يرى «إستوفر» أن المعنى يجب أن يكون شريفًا، يقدم تجربة جديدة علاوة على أن يكون له قيمة إنسانية فتصبح التجربة الشعرية تجربة عميقة بدورها أن تحقق للمتلقي نزعة تعليمية خارجة عن إطار الخطب والمواعظ، وذلك عن طريق تقديم تجربة جديدة أو أكثر عمقًا من تجربة المتلقي، وبذلك تكون التجربة ذات نزعة تعليمية،[49] وهذا ما نقله الشعراء في تجربتهم في إنقاذ الضعيف حينما دعاهم داع لنجدته.

الثبات، وشدة البأس:

ويرى بعض الشعراء أن الشجاعة تبلغ أوجها البطولي عند تحمل شدة الحرب، وعدم الانحناء والخضوع للأعداء، فحينما يرى أن الحرب لم تعد في صالحهم، وأنهم قد قاربوا على الهزيمة يتشجع ولا يظهر الشكوى، فيشن الغارات ويخوض غمار المعارك بقلب قوي البأس، دون إبداء أي ضعف أثناء مقارعة الأعداء؛ وذلك لأن التحلي بقيمة الشجاعة لدى العربي كان هدفًا راقيًا يسعى في سبيله كل عربي؛ كي لا يقع هو وقبيلته في دائرة الضعف والذل، يقول هُدْبَة بن خَشْرَم العذري:

وَلَيْسَ أَخُو الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ بِالَّذِي ... إِذَا زَبَنَتْهُ جَاءَ لِلسِّلْمِ أَخْضَعَا[50]
وَلكِن أَخُو الْحَربِ الْحَدِيدُ سِلاَحُهُ ... إِذَا حَمَلَتْهُ فَوْقَ حَالٍ تَشَجَّعَا
أَخُو الْحَرْبَ لا يَنْآدُ لِلْحَرْبِ مَتْنُهُ ... وَلاَ يُظْهِرُ الشَّكْوَى إِذَا كَانَ مُوْجَعَا

يعرض الشاعر صفات المقاتل الشجاع بأسلوب بسيط، بعيد عن التكلف والازدحام بالصور الجزيئة، فينفي عنه الخضوع والانحناء مهما واجه من شدائد الحرب، ويعدد صفاته قائلًا: «ليس أخضعا - الحديد سلاحه - إذا حملته فوق حال تشجعا - لا ينآد للحرب متنه - لا يظهر الشكوى» وقد آثر في عرضه لهذه الصفات استخدام الإطناب بتكرار قوله: «أخو الحرب»؛ لتقرير المعنى، وتقويته في نفس المتلقي، ففي «ليس أخو الحرب ...» ردع عما سيأتي بعدها، وتنبيه بالابتعاد عن الاستسلام والخضوع، وفي قوله: «ولكن أخو الحرب ... - وأخو الحرب ...» تأكيد على الثبات، فعلى الفارس الشجاع أن يصبر على منازلة الأعداء ومقارعتهم، وأن يتحمل شدائد الحرب ومكارهها؛ كي يسلم من عار الضعف والهزيمة، فلا يترك للاستسلام مجالًا، بل عليه أن ينازل ويضرب الأعداء ضربًا موجعًا.

وبسبب ما يلقاه الفارس العربي من تَعَنٍّ أثناء القتال، وبسبب حمله للأسلحة الثقيلة، ومكوثه فترات كبيرة في الصَّحْراء تحت أشعة الشمس المحرقة؛ تظهر على جسده آثار العناء، فيغدو منهكًا ضعيفًا، نحيل الجسد، شاحب الوجه. يقول زيد الخيل الطائي:

رَأَتْنِي كَأَشْلاءِ اللِّجَامِ وَلَنْ تَرَى ... أَخَا الْحَرْبِ إِلّا سَاهِمَ الْوَجْهِ أَغْبَرَا[51]

---

[49] إسماعيل، عز الدين، 1992م، *الأسس الجمالية في النقد العربي: عرض وتفسير ومقارنة*، د.ط، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، ص312-313.

[50] البحتري، *الحماسة*، ص98. زبنته الحرب: صدمته ودفعته، ينآد: ينحني وينعطف، متنه: متن الإنسان ظهره.

[51] السابق، ص96. أشلاء اللجام: سيوره التي مضى عليها زمن طويل. وفي هذا كناية عن الهزال والضعف. ساهم، وجده ساهمًا؛ أي ضامرًا مهمومًا لونه متغير يبدو ساهمًا وضائعًا. أغبر: ما كان لونه بلون الغبار. عضت الحرب: اشتدت. شمرت الحرب عن ساقها: اشتدت.

أخَا الْحَربِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

فهو في هذه الأبيات يعبر عن حاله جرَّاء خوضه للمعارك، ومساهمته في الحروب، فيبدأ بوصف جسده الذي شبهه بـ «أشلاء اللجام»؛ ليعبر عن هزال جسده الذي أضحى ضعيفًا بسبب كثرة انضمامه للحروب، ودوام حركته، وهو ما يوحي بنشاطه، وسرعته، وشجاعته في الإقدام، ولزيادة تأكيد فروسيته وخوضه للمعارك، يأتي بكناية تتجلى فيما حدث لوجهه في قوله: «ساهم الوجه» إذ يبدو شاحبًا متغيرًا لونه، وهذا يبرز فروسية الشاعر، وملازمته لساحة القتال، وإدراكه أن الشجاعة في الحرب تقاس بما سيواجهه فيها، فإن اشتدت الحرب وقست عليه، ازدادت قوته وضربته في القتال، فلا يتزحزح عن مكانه، ويقابل ويلات الحرب بصدر رحب.

وتعبير «وإن شمَّرت عن ساقها الحرب شمرا» هو تعبير استخدمته العرب للدلالة على خطوب الدهر التي تشتد وتعظم في الحرب؛ فالتشمير عن الساق كان يستخدم في البداية إذا أراد الرجل أن يمارس أمرًا شمَّر ذيله، وكشف عن ساقه فخفَّ ثوبه ورفعه.[52] فاستعمل هذا في الأنيس، ثم انتقل المعنى بعد ذلك للدلالة على جدية الأمور في الحرب، وقد قيل السَّاق اسم للشدة وفسر عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾.[53] كما أنه كان يضرب به المثل للحث على الجِد في الأمر، فقيل: «قد شمَّرَتْ عن ساقها فَشَمِّري»،[54] إذا ما اشتدت داهية الخطوب. وهذا يبين قوة الشاعر؛ إذ جعل نفسه خَصمًا للحرب التي خلع عليها صفات كائن مفترس له أسنان يعَضُّ ويفتك بها في قوله: «إن عضت به الحرب عضها»، كما أن لها ساقًا تكشفها في قوله: «إن شمرت ... شمَّرا» في ضوء الاستعارة المكنية، فشبه الحرب بمشبه به حي، وحذفه واستدل عليه بصفة من صفاته؛ ليتمكن المستمع من رؤية بعض ما تتسبب به الحرب، ورؤية شجاعة الشاعر المتجسدة في رد الفعل. وقد دلت الاستعارة الأولى على الأضرار التي تلحق بالشاعر في الحرب بتوظيفه للفعل «عضت» فهي مؤلمة وعلى الشاعر أن يتحملها، ويقابل هو الآخر بما يجعله صامدًا، بينما الاستعارة الثانية فهي تثبت استعداده الدائم وتأهبه للحرب التي يمكن أن تنشب في أي وقت، وقد ظهر هذا في الفعل «شمرت».

وقد جاء في خبر تلك الأبيات أنها من قصيدة مطولة لحاتم بن عبد الله الطائي، وقد أنشدها حينما تقدَّم لخطبة مَاوِيَّة بنت عَفْزَرٍ وكانت من بنات ملوك اليمن، وقد وجد عندها النابغة الذبياني ورجلًا من النَّبيت يخطبانها، فطلبت منهم أن يقول كل رجل منهم شعرًا يذكر فيه فِعاله ومنصبه، فهي لن تتزوج إلا أكرمهم وأشعرهم.[55] ولأن الموقف الذي يقال فيه تلك الأبيات موقف سعادة وفرح، لم يغفل الشاعر عن دعم قوله بالجانب الإيقاعي الموسيقي، فدفعته نفسه إلى بث تلك الموسيقى من خلال توظيف التصدير الذي ساهم في ثراء الإيقاع الموسيقي في قوله: «شمرت - شمرا» والتكرار بين اللفظتين «عضت - عضها»؛ مما عمل على تكثيف الإيقاع الناتج من التكرار النغمي، فنجح بذلك أن تطرب نفس المتلقي، وتكون أكثر ارتياحًا لما يقال، ومن ثم يلقى قَبولًا طيبًا لديها.

---

[52] انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، 428/4.
[53] سورة القلم، الآية رقم42.
[54] الميداني، *مجمع الأمثال*، 93/2، رقم2841.
[55] انظر: ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ص244. والأصفهاني، *الأغاني*، 272/17.

التشمير عند الحرب، ورفض النساء والخمر:

وقد عُرف عن الشجعان العرب أنهم حينما كانوا يُقبلون على النزال كانوا يتشمرون ويرفضون النساء، إلى أن ينالوا مرادهم من الحرب بالنصر والتغلب على الأعداء؛ كي لا تنالهم من عيون النساء سهام الازدراء والتقريع، لذلك كانوا يضعون مهمة الانتصار نُصب أعينهم. يقول كُثيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي[56] مادحًا عبد الملك بن مروان حينما عزم على السير إلى مصعب:

إِذَا مَا أَرَادَ الْغَزْوَ لَمْ يَثْنِ عَزْمَهُ ... حَصَـانٌ عَلَيْهَا عِقْدُ دُرٍّ يَزِينُهَا[57]
نَهَتْـهُ فَلَمَّـا لَـمْ تَرَ النَّهْـيَ عَاقَهُ ... بَكَتْ فَبَكَى مِـمَّا شَجَـاهَا قَطِينُهَا
وَلَمْ يَثْنِـهِ عِنْـدَ الصَّبَابَـةِ نَهْيُـهَا ... غَدَاةَ اسْتَهَلَّتْ بِالدُّمُوعِ شُؤُونُهَا
وَلَكِـنْ مَضَى ذُو مِـرَّةٍ مُتَثَبِّـتٌ ... لِسُنَّـةِ حَقٍّ وَاضِحٍ يَـسْـتَبِـينُهَا

يرسم الشاعر في هذه الأبيات لوحة حوارية بين عبد الملك بن مروان وزوجته حينما همَّ بالقتال في حرب مصعب،[58] وقد بيَّن فيها موقف زوجته إذ استحوذ عليها البكاء عندما رفض الاستجابة لما تطلبه منه وهو عدم الخروج، فظلت تبكي هي وجواريها، وعلى الرغم من هذا لم تستطع أن تُضعف من عزيمته أو توقفه، والحق أن كُثيِّر بن عبد الرحمن قد نجح في رسم ذلك الحوار الذي لم يرَه بعينيه! إذ إن هذه الأبيات قيلت قبل حدوث ذلك المشهد، والدلالة على ذلك ما جاء في خبر تلك الأبيات في كتب المصادر فنجد صاحب الأغاني يقول: «لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب لاذت به عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهي أم ابنه يزيد، وقالت: يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنة لحرب مُصعَب، فإن آل الزبير ذكروا خروجك، وابعث إليه الجيوش، وبكت وبكى جواريها معها. وجلس وقال: قاتل الله ابن أبي جمعة؛ فأين قوله ... والله لكأنه يراني ويراكِ يا عاتكة، ثم خرج».[59] فقد قال كُثيِّر بن عبد الرحمن تلك الأبيات قبل حدوث ذلك الموقف، وفي هذا دلالة على صلته القريبة بعبد الملك بن مروان وأهله، ومعرفته بهم، فهو لم يكن يفارق بلاط الدولة الأموية؛ لذلك نجد كثيرًا من أقواله في مدح خلفاء بني أمية.

ومن الأقوال التي تدل على شجاعة العرب أيضًا تلك التي قيلت في رفض النساء عند الحرب إلى أن يتم النصر، فنجد الحُطيئة العبسي[60] يمدح سعيد بن العاص بن أبي أحيحة، وقد أتاه وهو والٍ على المدينة، يقول في قصيدة له:

إِذَا هَـــمَّ بِالأَعْـــدَاءِ لَـــمْ يَـثْـنِ هَـمَّـهُ ... كَـعَـابٌ عَـلَيْهَـا لُـؤْلُـؤٌ وَشُـنُـوفُ[61]

---

[56] أبو صخر كُثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر، وكنيته أبو صخر، ومشهور بكُثيِّر عَزَّة، من فحول شعراء الإسلام، جعله ابن سلام في الطبقة الثانية من فحول الإسلاميين، كان غاليًا في التشيُّع يذهب مذهب الكيسانية. وله قصائد في مدح خلفاء بني أمية. انظر: الجمحي، *طبقات الشعراء*، ص165. وأيضًا: الأصفهاني، *الأغاني*، 9/5-6.

[57] البحتري، *الحماسة*، ص97. امرأة حَصان: عفيفة، عفَّت عن الرِّيبة وأحصنت فرجها. شجاه الأمر: أحزنه. القطين: خدم الملك وأتباعه والمقصود هنا الإماء والجواري. شؤون العين: مجاريها الدمعية. المرة: قوة الخلق وشدته. يستبينها: يظهرها.

[58] خرج عبد الملك بن مروان من الشام إلى العراق قاصدًا مصعب بن الزبير في تلك الحرب التي أسفرت عن مقتل مصعب. انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، د.ت، *تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري*، د.ط، السعودية، بيت الأفكار الدولية، ت: أبو صهيب الكرمي، د.ت، ص1129.

[59] الأصفهاني، *الأغاني*، 9/17-18.

[60] جرول بن أوس بن جؤيّة بن مخزوم بن مالك بن غالب العبسي، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ثم ارتد، ويكني أبا مُليكة. انظر: الأصفهاني، *الأغاني*، 2/101.

[61] البحتري، *الحماسة*، ص99. الكَعاب: الصبية حين كعب ثدياها؛ أي: نهدا وأشرفا. الشنوف: جمع شنف، وهو القرط. الحَصان: العفيفة. كما تمشي القطاة؛ أي: إنها قليلة المشي مقاربة الخطو، والقطاة: طائر صحراوي يشبه اليمام، وقد ضُرب

حَصَـــانٌ لَهَا فِي الْبَيْـتِ زِيٌّ وَبَـهْـجَةٌ وَمَشْيٌ كَمَا تَمْشِي الْقَـطَاةُ قُطُـوفُ
وَلَوْ شَاءَ وَارَى الشَّمْسَ مِنْ دُونِ وَجْهِه حِجَابٌ وَمَطـوِيُّ الـسَّـــرَاةِ مُنِيـفُ
وَلكِنَّ إِدْلاجًـا بِـــشَهْـــبَـاءَ فَـــخْمَـــةٍ لَهَـا لَقَـحٌ فِي الأَعْجَمَيْنِ كَشُـوفُ[62]

فهو في هذه الأبيات يبين أن من سمات المقاتل الشجاع عدم التواني في الخروج للقتال، فهو لا يتلكأ بالانتظار، بأسه شديد، يمتلك جميع ما يتمتع به المقاتل الشجاع من جرأة وإقدام، فيتحدث الشاعر عن سعيد بن العاص ويمدحه بشجاعته التي لم تضعفها المرأة الجميلة الحسناء التي تمتلك جميع مقومات الأنوثة من شكل متناسق، وحركة هادئة جذَّابة؛ ليبين شدة بأس الممدوح الذي لم يلتفت لمغريات زوجته، وآثر أن يسير الليل كله بكتيبة شهباء ضخمة كالناقة المكشوفة، وقد شبه الشاعر تلك الكتيبة بالناقة المكشوفة؛ ليثبت أنه لا يتخلى عن الحرب، بل يهاجم ويشن الغارات دائمًا، يهجم ويكر في أشد الأوقات، فيواقع ويقاتل مرة بعد مرة دون توقف كالناقة التي يحمل عليها في دمها بعد أيام نتاجها.

ورغم أن الحطيئة مخضرم أدرك الإسلام، فإنه لم يتأثر بما جدَّ على أسلوب الشعر من وصف جلي، وأسلوب واضح، ولم ينزع عنه ثوب التأثر بالشعر الجاهلي، وهذا اتضح في ألفاظه الأخيرة التي عبر بها عن خروج سعيد بن العاص إلى الحرب، قائلًا: «إدلاجًا بشهباء فخمة - لها لقح في الأعجمين كشوف» فيتضح فيها ذلك التأثر. بخلاف عبد الرحمن الخزاعي الذي ظهر في تعبيره بساطة الوصف، وسلاسة التعبير، فجعل من خروج عبد الملك بن مروان للقتال سببًا لإظهار سنة الحق في قوله: «لسنة حق يستبينها»، وهو قول تمخَّض عن تأثره بالنزعة الإسلامية.

ومن مظاهر إدراك الثأر لدى العرب، رفض النساء والتشمير عند الحرب، فكانوا «لا يمسون طِيبًا، ولا ينكحون امرأة، ولا يشربون خمرًا، ولا يأتون لذة إذا كانوا طالبي ثأر حتى يدركوه».[63] ونجد الربيع بن زياد العبسي[64] يرفض امرأته بسبب مقتل مالك بن زهير، ويحث في قصيدة له على الأخذ بالثأر لمقتل مالك - في حرب داحس والغبراء - حينما قتله حذيفة بن بدر؛ وذلك لأن مالك قد قتل ابنه عوف بن بدر، فلما جاء حذيفة خبر مقتل ابنه على يد مالك بن زهير، أرسل له فرسانًا كي يدركوه، وأمرهم بقتله، فانطلق القوم ولقوا مالك بن زهير وقتلوه، وجاءوا عشية إلى حذيفة ليبشروه بمقتل مالك، وكان الربيع بن زياد حاضرًا معه، فلما بلغه خبر مالك حزن حزنًا شديدًا، وانصرف إلى بيته. وبعد أن رأى حذيفة حال الربيع بعث بجارية له، وأمرها بأن تتندَّس داخل بيت الربيع وتنظر ماذا تفعل معاذة بنت بدر امرأة الربيع، وماذا يصنع الربيع، ففعلت الجارية، وانطلقت حتى دخلت البيت.[65]

بها المثل في الصدق وقيل: «أصدق من قَطَاةٍ»؛ لأن لها صوتًا واحدًا لا تغيره. انظر: ابن منظور، لسان العرب، 412/1. القطوف: الدانية الخطى. مطوي السراة: مدمج الأعلى. ومطوي سراته؛ أي محكم أعلاه. المنيف المشرف..

[62] الإدلاج: سير الليل كله. لقحها في العجم؛ أي مواقعتها إياهم، الكشوف: يقصد الناقة الكشوف وهي التي يحمل عليها في دمها بعد أيام نتاجها.

[63] البحتري، *كتاب الحماسة*، 104/1.

[64] الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن هدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس، أمه فاطمة بنت خُرشُب، كنيته: أبو حريث، وكان يلقب بـ «الكامل». انظر: الأصفهاني، *الأغاني*، 130/17. البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، 1997م، 427/1، 519/7.

[65] انظر: الأصفهاني، *الأغاني*، 141/17.

ولما رجع الربيع «أتته امرأته تَعرَّضُ له وهي على طهر، فزجرها»،[66] وقال:

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَـالِكٍ بِمَضِيعَةٍ ... تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الأَطْهَارِ[67]
مَا إِنْ أَرَى مِنْ بَعْدِ مَقْتَلِ مَالِكٍ ... إلا الـمَـطِـيَّ تُـشَـدُّ بِـالأَكْـوَارِ
وَمُـجَـنَّـبَـاتٍ مَـا يَذُقْـنَ عُلُوفَـةً ... يَمْصَعْنَ بِالْمُهُـرَاتِ وَالأَمْهَارِ

فهو يبين صراحة في هذا القول رفضه لزوجته بسبب مقتل مالك بن زهير، إذ يرى أنه يجب على كل عاقل وذي رأي أن يأخذ الثأر لمقتل مالك وينال من العدو مثل ما ناله منهم، فتُمتطى ظهور الإبل وتُشد بِرِحالها ويُمَدّ بها في السير، ويُسار بها سَيرًا عنيفًا للحد الذي يجعلها ترمي بأجنتها بسبب شدة ذلك العدو، ودؤوب السير، والجهد المبذل أثناء الإغارة. هذا الوصف الذي ذكره الربيع يبين مدى غضبه الشديد لمقتل مالك، فتوظيفه للاستفهام يفيد الإنكار؛ لأن الأمر أفظع من أن يتوهم، والخطب جلل، وأنكى في القلوب والنفوس، كما أن تلك السرعة التي وُصفت بها الإبل والخيل تُعبر عن حميته التي لن تهدأ حتى يدرك ذلك الثأر. وبالفعل أدركه واستطاع الربيع أن يقتل حذيفة، فنجد صاحب خزانة الأدب يذكر أن الربيع بن زياد أدرك في جفر الهباءة على حذيفة بن بدر وأخويه: حمل بن بدر ومالك بن بدر، فقتلهم، ثم مثَّل بحذيفة.[68]

وقد سجَّل لنا الربيع في تلك الأبيات عادة من عادات العرب حينما يريدون الإغارة والحرب؛ فكانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل إلى أن ينتهوا إلى ملتقى القوم للمحاربة، فحينئذٍ ينيخون الإبل ويركبون الخيل وهي وادعة لم يصبها تعب.

ولم يكن العرب يحرمون على أنفسهم النساء فقط إلى أن يدركوا بثأرهم، بل الخمر والطيب أيضًا، فنظرة المجتمع الجاهلي للثأر والأخذ به كانت جُل همهم؛ لذلك حرَص العربي على إدراك ثأره. يقول امرؤ القيس بعدما ثأر لمقتل أبيه:

حَلّتْ لِيَ الْخَمْرُ وَكُـنْـتُ امْرَءًا ... عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغُلٍ شَاغِلِ[69]
فَالْيَوْمَ فاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إِثْـمًا مِـنَ اللهِ وَلا وَاغِـــلِ

فلما قتلت بنو أسد أباه حرَّم على نفسه شرب الخمر، حتى يأخذ بثأر أبيه ويقتل من قتله، فلما أدرك ذلك حلت له الخمر؛ وذلك لأن «للثأر في المجتمع الجاهلي طقوس تتعلق بالتحريم: حرمة النساء، وحرمة الاغتسال والتطيب، وحرمة الخمر، وحرمة لبس الحرير، وقد آلى امرؤ القيس على نفسه ألا

---

[66] البغدادي، عبد القادر بن عمر، 1997م، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، ط4، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، ت: عبد السلام محمد هارون، 369/8.

[67] البحتري، *الحماسة*، ص95. عواقب الأطهار: يريد أن العرب كانوا يواقعون نساءهم عقب إطهارهن ويدعون أن ذلك أنجب للولد. المطي: الإبل تمتطى ظهورها أي يُمَدّ. الأكوار: الرحال بأداتها. مجنبات: الخيل تُجَنَّب وراء الإبل في الغزو إراحة لها حتى ينتهوا من الغارة. ما يذقن علوفة؛ أي: ما أكلت شيئًا. يمصعن: من المصع وهو العدو الشديد يحرك فيه الذنب. المهرات والأمهار: ولد الفرس أول ما ينتج من الخيل والحمر الأهلية وغيرها، ويراد هنا ما في بطونها من الأجنة. وللأبيات رواية أخرى، انظر: الأصفهاني، *الأغاني*، 142/7:

أَفَبَعْدَ مَقْتَـلِ مَـالِـكِ بن زهيـرٍ // تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الأَطْهَارِ
مَا إِنْ أَرَى في قتله لِذَوي الحِجا // إلا الـمَـطِـيَّ تُـشَـدُّ بِـالأَكْـوَارِ
وَمُـجَـنَّـبَـاتٍ مَـا يَذُقْـنَ عَـذُوفَـــةً // يَقْـذِفْـنَ بِالْمُهُـرَاتِ وَالأَمْـهَـارِ

[68] انظر: البغدادي، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، 370/8.

[69] البحتري، *الحماسة*، ص101. غير مستحقب إثمًا من الله، أي: غير مكتسبه ولا محتمله. الواغل: الداخل على القوم في شرابهم فشرب معهم غير أن يُدعى إليه.

يمسَّ الطيب جسده، وألا يمس رأسه غسل ولا دُهن، ولا يشرب خمرًا حتى يثأر بأبيه، فلما ظفر ببني أسد حَلَّ له ما حرَّم على نفسه».[70] وقد قال في هذا المعنى أيضًا خالد بن عمرو بن مرة الشيباني:

الْيَوْمَ حَلَّ لِيَ الشَّرَابُ وَمَا كَانَ الشَّرَابُ يَحِلُّ لِي قَبْلُ[71]
وَجَزَيْتَ سَعْدًا بِالَّذِي فَعَلُوا وَأَحِلَّ لِي مَاوِيَّةَ الْقَتْلُ

وهكذا كان من سمات الشجاع العربي أن يأخذ بثأره وألا يقبل الدية، فقد تأصل في طباعهم شغف الانتقام، وكانت ظاهرة الأخذ بالثأر من المهام الأولى لديهم، وكلما كان هناك سرعة في إدراك ذلك الثأر وُصف ذلك الفارس بقوته وشجاعته.

التباهي بقوة الفتك:

الفتك بالأعداء كان من مظاهر الفخر لدى العربي، حتى إننا نجد المثل يضرب في الفتك، فقيل في الحارث بن ظالم المري: «أفتكُ من الحارث بن ظالم»؛[72] لأنه كان من أفتك الناس وأشجعهم في الجاهلية. ونجد الحارث يصف قوة فتكه لعدوه في قوله:

عَلَوْتُ بِذِي الْحَيَّاتِ مَفْرِقَ رَأْسِهِ وَهَلْ يَرْكَبُ الْمَكْرُوهَ إِلّا الأَكَارِمُ[73]
فَتَكْتُ بِهِ لَمَّا فَتَكْتُ بِخَالِدٍ وَكَانَ سِلاحِي تَجْتَوِيهِ الْجَمَاجِمُ

يُسجل الحارث بن ظالم في هذه الأبيات مصرع ابن الملك النعمان بن المنذر على يده بعد أن دفعته إليه أخته سلمى بنت ظالم؛ إذ كانت تحت سنان بن أبي حارثة المري، وقد أودعهما النعمان ولده، فطلب الحارث من أخته أن تدفعه إليه، ففعلت. وكان للحارث جيران قد أصابهم من النعمان شر في إبلهم، فدعاه ذلك إلى قتل الغلام. وقد سجل في قوله مصرع ابن النعمان، وهو يتوعد بالنعمان، ويبدي الشماتة بمصرع ولده، كما نعت سيفه الذي فتكه، مثل ما فتك بخالد بن جعفر.[74]

فيصف الحارث بن ظالم سيفه الذي سُمي بذي الحيات؛ لأنه كان فيه صورة حيتين، وكيف أن هذا السيف قام بفتك ابن النعمان كما فتك خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قبل، وقد كانت الخصومة بين الحارث وجعفر قديمة عهدها، إذ يذكر لنا صاحب الأغاني بداية تلك العداوة التي انتهت بمقتل خالد ابن جعفر على يد الحارث بن ظالم وقد كان آنذاك في حضرة النعمان بن المنذر. وتبدأ هذه العداوة حينما أغار خالد بن جعفر على رهط الحارث بن ظالم، فقتل جميع الرجال، وبقيت النساء بغير رجال، وقد كانت النساء لا يحلُبن النَّعَمَ، فكانوا يدعون الحارث وهو يومئذٍ غلام، فيشد عِصابَ الناقة، وهن يحلُبنها، ويبكين رجالهن، ويبكي معهن الحارث، فنشأ على كره خالد بن جعفر، وأردف ذلك قتلُ خالد زهير بن جذيمة، فاستحق خالد ما فعله به الحارث بن ظالم.[75]

وإن كان هناك ما يدعو الحارث للفخر بفتك خالد بن جعفر فهذا لأنه قد سبق أن أغار على قبيلة الحارث وقتل قومه، هو بهذا الفتك قد حقق الثأر له ولقومه، لكن فخره بمقتل ابن النعمان لا يُعد من شيم

---

[70] السكري، أبو سعيد، 2000م، *ديوان امرئ القيس بشرح أبي سعيد السكري*، ط1، الإمارات العربية، مركز زايد للتراث والتاريخ، ت: أنور عليان أبو سويلم، ومحمد علي الشوابكة، ص522.
[71] البحتري، *الحماسة*، ص102. حل لي الشرب: أصبح حلالًا.
[72] الميداني، *مجمع الأمثال*، 89/2، رقم2820.
[73] البحتري، *الحماسة*، ص47. بذي الحيات: سيف الحارث بن ظالم. فتكت: الفتك القتل مجاهرة. تجتويه: لا يوافقها.
[74] انظر: الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى، د.ت، *المفضليات*، ط6، القاهرة، مصر، دار المعارف، ت: عبد السلام هارون، وأحمد محمد شاكر د.ت، ص312.
[75] انظر: الأصفهاني، *الأغاني*، 65/11.

الشجعان، هذا - وفي رأيي - فإن كان لزامًا عليه أن يثأر لجيرانه من النعمان فكان أولى أن ينتقم من النعمان نفسه، أو أن يقتل ابنه وهو في حضرة والده، لكنه وجده مضغة سائغة أمامه بعد أن دفعته إليه أخته، فاستسهل الانتقام لجيرانه من النعمان عن طريق ذلك الولد الصغير.

والفتك لا يتمتع به سوى الشجاع القوي، الذي لا يهاب الجموع، ولا يخاف الهجوم، فإذا ما سطا وقهر فتك عدوه، وذلك أدعى إلى الفخر، نجد منظور بن الربيع العامري يفخر بذلك قائلًا:

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي إِذَا رُمْتُ فَتْكَةً بِحَرْبِيَ لَمْ أَنْظُرْ بِهِ أَنْ يُبَادِيَا[76]

وَأُقْدِمُ إِقْدَامَ السِّنَانِ وَيُتَّقَى بِي الأَشْوَسُ الصِّنْدِيدُ إِنْ كَانَ عَادِيَا

فهو شجاع في قتله، متمكن من ضربته، واثق في قوة فتكه، وقد اتخذ الشاعر من سرعة انقضاضه على عدوه وسيلة لإبراز شجاعته؛ فهو لا يتلكأ بالانتظار، بل ينقض عليه بضربة قاتلة، وقد أراد بذلك إثبات أن قوة شجاعته وشدة بأسه اشتهرت بقوة فتكة. وقد عمد الشاعر إلى بيان كيفية فعل ذلك بتوظيف الاستفهام التقريري بقوله: «ألم تعلموا»؛ ليقر قوة فتكه، كما وظف الترديد فجاء الشاعر «بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في نفس البيت»،[77] وقد تجلى هذا في صدر البيت حينما ذكر «وأقدم» وهي لفظة متعلقة به، ثم أضاف المصدر منها وهو متعلق بالسنان في قوله: «إقدام السنان»؛ ليدلل بذلك على إقدامه في المعركة وبروزه كبروز السنان، ويشبه الشاعر حاله وموضعه في المعركة بالحال الشكلية لسنان الرمح، فكما يبرز ويتقدم نصل الرمح عن قناته، هو أيضًا يتقدم على رأس جيشه ويبرز في القتال، فلا يرهب القيام بالأعمال الخطرة، بل يهاجم ويكر في أشد الأوقات.

الخاتمة:

اعتزَّ الإنسان العربي اعتزازًا بالغًا بسمة الشجاعة التي أخذت جانبًا كبيرًا من حياته، وهذا ما عرضه لنا البحتري من خلال مقتطفاته في حماسته التي تُظهر اهتمام العرب بالشجاعة، هذه الأهمية تبينت لنا من خلال عدة جوانب، يمكن إجمالها في التالي:

- حديث النفس الذي استحوذ على فكر المحارب عند أول وهلة من القتال، والخوف الذي تملك منه، وتردُّد ذلك الصوت الداخلي الذي يحث النفس على التراجع، وقد ظهر هذا من خلال نظم الشعراء وإثباتهم مدى ثبات الفارس أثناء حواره الداخلي مع نفسه ومدى إلزام نفسه بالثبات وعدم التخلي عن المعركة، وهذا الإلزام كان نابعًا من عدة دوافع اختلفت من شاعر لآخر، فبعضهم كان يلزم نفسه بهدف حمد عاقبة ركوب المكروه كأن يكتسب خبرة بأمور الحرب. وبعضهم كان يلزم نفسه بالثبات لأنه على قناعة بأن النفس إذا تخلت عن تلك الشجاعة والثبات يؤول مصيرها إلى الموت حتى وإن سلمت بعد فرارها فلن تسلم من الخزي والعار الذي سيلحق بها، فضلًا عن قدوم الموت لا محالة. وبعضهم كان يلزم نفسه بالثبات أثناء القتال للفوز بالجنة.

---

[76] البحتري، *الحماسة*، ص45. رمت: أردت وقصدت. أنظر: أنتظر. السنان: نصل الرمح، وهي حديدته لصقالتها وملاستها. الأشوس: الجريء على القتال الشديد. الصنديد: السيد الشجاع.

[77] القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، 1981م، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، ط5، بيروت، لبنان، دار الجيل، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، 333/1.

- دعوة الشعراء للتحلي بالشجاعة وخوض المعارك؛ لأن كثرة تردد الفارس على المعارك تزيده حُنكةً ودراية بأمور القتال والنزال، كما أن تلك التجارب تقوي من عزيمته فيصبح قادرًا على أن يتولى شؤون قبيلته، ويكون قادرًا على أن يتقدم الجيش فيما بعد.
- فخر الشعراء بنصرتهم للضعفاء ونجدتهم للملهوف، وقد كان ذلك من أهم سمات الشجاع الذي عُرف عنه أنه حامي اللاجئ ومدافع عن الجار، وكل من يلوذ ويستنجد به.
- حث الشعراء على الثبات، وعدم إظهار الشكوى بسبب ما يلقاه الفارس من صعوبات أثناء النزال، وحثهم على التشجع وعدم إبداء أي ضعف مما تسببه تلك الحروب، فبسبب حمل عُدَّة الحرب والأسلحة الثقيلة يصبح جسم المحارب ضعيفًا هزيلًا، وبسبب مكوثه فترة كبيرة في الصحراء بلا مأوًى شحب وجهه، كل ذلك يكون له يد في إضعاف المحارب، وعلى الرغم من ذلك فعليه أن يتشجع ولا يترك للشكوى جانبًا.
- كما تمثلت الشجاعة في التشمير عند الحرب حتى إدراك الثأر، فالشجاع العربي كان لزامًا عليه أن ينتقم لقبيلته ويأخذ حقها؛ لذلك كان يمتنع عن كل لذة، فلا ينكح امرأة، ولا يشرب خمرًا، ولا يمس طيبًا إلى أن يدرك ثأره وينتقم لقتيله.
- اقترنت سمة الشجاعة لدى الفرسان العرب بسمة الفتك، والهجوم بقوة على الأعداء دون رحمة.
- ومن خلال النماذج التي تقدمت، يتضح أن الشجاعة تجلت في ظواهر الإبداع الشعري من منظورها الجمالي والفني بورودها بمعناها الخاص الدقيق المقتصر على ترادف تلك اللفظة بالحماية والدفاع، وقتل الأقران، والأخذ بالثأر ونصرة الملهوف. وورودها بمعناها الواسع والأشمل الحامل لمجموعة من الصفات الفرعية المندرجة تحتها كالصبر على نوازل الخطوب والمُلمَّات، وتحريم النفس من ملذات الدنيا.

المصادر والمراجع:

1) القرآن الكريم.

2) إسماعيل، عز الدين، (1992م)، *الأسس الجمالية في النقد العربي: عرض وتفسير ومقارنة*، د.ط، القاهرة- مصر، دار الفكر العربي.

3) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (2008م)، *الأغاني*، ط3، بيروت- لبنان، دار صادر، تحقيق: إحسان عباس وآخرين.

4) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد، (2007م)، *الحماسة*، د.ط، أبو ظبي- الإمارات، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي، تحقيق: محمد إبراهيم حور، وأحمد محمد عبيد.

5) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد، (2009م)، *كتاب الحماسة*، ط2، بيروت- لبنان، دار صادر، تحقيق: محمد نبيل طريفي.

6) البغدادي، عبد القادر بن عمر، (1997م)، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، ط4، القاهرة- مصر، مكتبة الخانجي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

7) البغدادي، عبد القادر بن عمر، (1989م)، *شرح أبيات مغني اللبيب*، ط2، دمشق- سوريا، دار الثقافة العربية، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف دقاق.

8) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، (1998م)، *ديوان الحماسة*، ط1، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، تحقيق: أحمد حسن بسج.

9) الجمحي، محمد بن سلام بن عبد الله، (2001م)، *طبقات الشعراء*، د.ط، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية.

10) ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (1438هـ)، *الأخلاق والسِّير في مداواة النفوس*، ط2، الدمام- السعودية، دار ابن الجوزي، تحقيق: طارق بن عبد الواحد.

11) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (2004م)، *مقدمة ابن خلدون*، ط1، دمشق- سوريا، دار يعرب، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش.

12) ابن رواحة، عبد الله، (1981م)، *ديوان عبد الله بن رواحة*، ط1، الرياض- السعودية، دار العلوم للطباعة، تحقيق: وليد قصاب.

13) الزبيدي، عمرو بن معدي كرب، (1985م)، *شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي*، ط2، دمشق- سوريا، مجمع اللغة العربية، تحقيق: مطاع الطرابيشي.

14) الزركلي، خير الدين، (2002م)، *الأعلام: قاموس تراجم*، ط15، بيروت- لبنان، دار العلم للملايين.

15) السكري، أبو سعيد، (2000م)، *ديوان امرئ القيس بشرح أبي سعيد السكري*، ط1، أبو ظبي- الإمارات العربية، مركز زايد للتراث والتاريخ، تحقيق: أنور عليان أبو سويلم، ومحمد علي الشوابكة.

16) ابن سلام، أبو عبيد القاسم، (1980م)، *كتاب الأمثال*، ط1، دمشق- سوريا، دار المأمون للتراث، تحقيق: عبد المجيد قطامش.

17) السلمي، العباس بن مرداس بن أبي عامر، (1991م)، *ديوان العباس بن مرداس*، ط1، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، تحقيق: يحيى الجبوري.

18) الشايب، أحمد، (د.ت)، الأسلوب، ط2، القاهرة- مصر، مكتبة النهضة المصرية.

19) ابن شداد، عنترة، (1983م)، *ديوان عنترة بن شداد*، ط2، دمشق- سوريا، منشورات المكتب الإسلامي، تحقيق: محمد سعيد مولوي.
20) الشريف الجرجاني، علي بن محمد السيد، (2004م)، معجم التعريفات، د.ط، القاهرة- مصر، دار الفضيلة، تحقيق: محمد صديق المنشاوي.
21) صفوت، أحمد زكي، (1923م)، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، ط1، القاهرة- مصر، مطبعة البابي الحلبي.
22) صليبا، جميل، (1982م)، *المعجم الفلسفي*، د.ط، بيروت- لبنان، دار الكتاب اللبناني.
23) الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى، (د.ت)، *المفضليات*، ط6، القاهرة- مصر، دار المعارف، تحقيق: عبد السلام هارون، وأحمد محمد شاكر.
24) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (د.ت)، *تاريخ الأمم والملوك: تاريخ الطبري*، د.ط، الرياض- السعودية، بيت الأفكار الدولية، تحقيق: أبو صهيب الكرمي.
25) الطويل، توفيق، (1979م)، *فلسفة الأخلاق: نشأتها وتطورها*، ط4، القاهرة- مصر، دار النهضة العربية.
26) عباس، إحسان، (د.ت)، *شعر الخوارج*، ط2، بيروت- لبنان، دار الثقافة.
27) عبد القاهر الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (د.ت)، *أسرار البلاغة*، د.ط، القاهرة- مصر، مطبعة المدني، تحقيق: محمود محمد شاكر.
28) عبد المطلب، محمد، (1994م)، *البلاغة والأسلوبية*، ط1، القاهرة- مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.
29) عروة بن الورد والسموأل، (1982م)، *ديوانا عروة بن الورد والسموأل*، د.ط، بيروت- لبنان، دار بيروت.
30) ابن فارس، أبو حسين أحمد، (1979م)، معجم *مقاييس اللغة*، د.ط، القاهرة- مصر، دار الفكر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
31) فضل، صلاح، (2000م)، *مناهج النقد المعاصر*، ط1، القاهرة- مصر، ميريت للنشر والمعلومات.
32) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (د.ت)، *الشعر والشعراء*، د.ط، القاهرة- مصر، دار المعارف، تحقيق: أحمد محمد شاكر.
33) قدامة بن جعفر، أبو الفرج، (د.ت)، *نقد الشعر*، د.ط، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي.
34) القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، (1981م)، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، ط5، بيروت- لبنان، دار الجيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
35) المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، (2005م)، معجم *الشعراء*، ط1، بيروت- لبنان، دار صادر، تحقيق: فاروق اسليم.
36) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (د.ت)، لسان العرب، د.ط، بيروت- لبنان، دار صادر.
37) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري، (1955م)، مجمع *الأمثال*، د.ط، القاهرة- مصر، مكتبة السنة المحمدية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

38) ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك، (1990م)، *السيرة النبوية*، ط3، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري.
39) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، (1994م)، *ديوان المعاني*، ط1، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، شرح: أحمد حسن بسج.

المراجع المترجمة:

1- هولب، روبرت، (2000م)، *نظرية التلقي: مقدمة نقدية*، ط1، ترجمة: عز الدين إسماعيل، القاهرة- مصر، المكتبة الأكاديمية.

الدوريات:

1- طليمات، غازي مختار، (1999م)، *أدبنا القديم ونظرية التلقي*، الأدب الإسلامي، مج 6 (ع 23)، ص4-13.

الدوريات الإلكترونية:

1- فيرنيهو، تشارلز، (2017م)، *مقالة حديثنا إلى أنفسنا*، مجلة للعِلم - نقلًا عن مجلة ساينتفك أمريكان الإلكترونية: https://www.scientificamerican.com/arabic/articles/from-the-magazine/what-self-talk-reveals-about-the-brain/

(The Virtue of Bravery in Al-Buhturi's Enthusiasm Poetry)

Dina Ahmed Sayed Ramadan
(Master)Degree – Department of Arabic Language and Literature
Faculty of Women for Arts, Science & Edu,Ain Shams University - Egypt
Dina.Ahmedsayed@women.asu.edu.eg

Prof/ Amina Mohammed Gamal El-Dein
Assistant Professor of Ancient Literature,
Department of Arabic Language and Literature
Faculty of Women for Arts, Science & Edu
Ain Shams University - Egypt
Amina.gamaleldin@women.asu.edu.eg

Prof/ Hassan Ahmed Al-Bendary
Professor of Rhetoric and Literary Criticism,
Department of Arabic Language and Literature
Faculty of Women for Arts, Science & Edu
Ain Shams University - Egypt
Dr_hassan5@yahoo.com

Dr/ Fatma Mezar Batea
Teacher of Ancient Literature,
Department of Arabic Language and Literature
Faculty of Women for Arts, Science & Edu,Ain Shams University – Egypt
Fatma.mezar@women.asu.edu.eg

Abstract:

Poetry is considered the mirror of Arabs and the interpreter of their emotions. It is loaded with virtues and morals as it often came with noble manners which Arabs Should have. The poems which praise moralities are numerous; Arabs knew their foundations, called for them, and bequeathed them to their offspring. Thus, the Arabic ideals were presented in a variety of good manners; top of which is bravery. This quality has appeared in their poetry, and every incident which represents the meaning of courage was celebrated in it. Arabs have praised steadfastness in the battlefield, lethality, relieving needy people, protecting the weak ones, helping those who seek their aid, and forgiveness at times when persons have the ability to avenge on others. The study aims at clarifying the parameters which express the virtue of bravery in ancient Arab poetry, as well as its role in the life of Arabs. The study is, thus, interested in the poetry of bravery in selections of Al-Buhturi's Enthusiasm Poetry, through clarifying the Arabs' keenness on representing this moral in their poetry. The study has relied on the analytical descriptive approach related to induction; this is based on a meticulous reading of the selections under study to identify the aspects of bravery and studying them in the light of the analytical descriptive approach through searching for the areas it revolves around and dealing with them from an analytical aesthetic perspective to attain the meanings of bravery.

Keywords: Virtues, Bravery, Enthusiasm poetry, Al-Buhturi.